لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com



العرب في اسرائيل "٢"

تأليف : صبري جريس

مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

العرب في اسرائيل

العرب في إسرائيل

(٢)

صبري جريس



منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث
بيروت

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧

تمهيد

هذا هو الجزء الثاني من دراسة المحامي الاستاذ صبري جريس « العرب في اسرائيل » ، وكان الجزء الاول قد صدر في سلسلة دراسات فلسطينية ، رقم ١٤ ، في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد تناول الجزء الاول موضوعي الاحكام العسكرية المفروضة على العرب في اسرائيل ، واستيلاء سلطات العدو على الاراضي العربية .

وكما ذكرت في مقدمة الجزء الاول ، ادى هذا الكتاب دورا كبيرا في توضيح وحشية معاملة سلطات العدو لاخواننا في فلسطين المحتلة ، لجرأة الكاتب في فضح اجراءات العدو ولاعتماده على مصادر عبرية رسمية . وهذا ما جعل سلطات اسرائيل تلاحق الكاتب والكتاب ـ وقد صدر الكتاب في الاصل في حيفا باللغة العبرية . وقد حرصنا على نشر الكتاب بالعربية ليطلع المواطن العربي على صورة صادقة لحياة اخوانه الذين يعيشون تحت نير الارهاب الاسرائيلي .

ولا بد من الاشارة هنا ، كما اشرنا في مقدمة الجزء الاول ، الى ان الدراسة وضعت وترجمت وروجعت قبل حصول العدوان الاسرائيلي الاخير الذي ادى ، من جملة ما ادى اليه، الى سقوط اراضي فلسطين العربية التي لم تسقط من قبل في ايدي العدو ، والى سقوط ما يزيد على مليون عربي فلسطيني اسرى لدى سلطات الكيان المغتصب . ولكن مهما تبدلت ، مع هذه الاجراءات الاخيرة ، الاعداد والارقام والنسب ، فان الحقائق الاساسية التي تكشف عنها صفحات هذا الكتاب تظل كما هي ، بل ان الحاجة الى معرفة هذه الحقائق هي اليوم ضرورية اكثر من اي وقت سابق .

وأود ان أعيد نشر بعض الملاحظات التي كتبتها في مقدمة الجزء الاول :

« قد لا تكون هناك حاجة الى ان اذكّر القارىء ان الكاتب وضع دراسته ونشرها وهو في فلسطين المحتلة ، وباللغة العبرية . وهذا يفسّر مواقف قليلة ومتقطعة لا يقبلها القارىء العربي ولا مركز الابحاث لو كان الكاتب حرا طليقا يكتب على ارض عربية لم تبتل بما ابتلت به فلسطين منذ ١٩٤٨ . لكن هذه الجمل والفقرات المتناثرة المتقطعة والقليلة ، التي ترد في الكتاب بين حين وآخر ، التي يضطر الكاتب اليها مرغما ليرفع عن الكتاب وعن الكاتب بعض الاضطهاد ، لا يمكن ان تعكّر الصورة التي ترتسم في ذهن

القارىء وهو يطالع الدراسة للموقف البطولي الذي يقفه الكاتب وهو يهاجم سلطات اسرائيل ويفضح سوء معاملتها لعرب فلسطين المقيمين في ديارهم بالحجة الدامغة ، بالرغم من القوانين الصارمة التي تكم الافواه وتقيّد الرأي وتمنع عن العرب حق الاعتراف بما يؤمنون به وحق الافصاح عما يلقونه من عذاب .

وبالطبع ، ليست قضية العرب في فلسطين المحتلة هي قضية فلسطين . وليس الحديث عن الاستبداد الاسرائيلي بمن تبقى في فلسطين من اصحابها الحقيقيين الشرعيين هو الحديث النهائي والكامل والاخير في الاستبداد الصهيوني وفي التنكر الصهيوني لكل القيم والحقوق . فليست مأساة مئات الالوف من اخواننا في فلسطين المحتلة الا جزءا صغيرا من مأساة فلسطين الكبرى . لكن هذا الجزء الصغير نسبيا من المأساة حري" ، في الوقت نفسه ، ان تسلط عليه الانوار وان يذيع خبره في العالم ، وخاصة في هذه الايام العصيبة » .

انيس صايغ

المدير العام لمركز الابحاث

القسم الثالث

من دير ياسين حتى كفر قاسم

سياسة اليد القوية

دير ياسين وكفرقاسم ، اسمان علمان في تاريخ عرب هذه البلاد . اما قضية دير ياسين فترجع الى ١٩٤٨/٤/٩ ؛ اي قبل حوالي شهر من قيام اسرائيل ، حين هاجمت قوة مسلحة من اعضاء « ارجون فاي ليومي » [١] واعضاء « لوحمي حيروت يسرائيل » [٢] ، قرية دير ياسين القريبة من القدس (وهي اليوم مستشفى للامراض العقلية باسم « بيت شاؤول ») وقامت بمذبحة رهيبة ، اشتهرت بعد ذلك في العالم كله . فلقد ذبح اكثر من مئتي شخص من سكان

---

(١) اي : « المنظمة العسكرية القومية » التي يعرفها العرب باسم « عصابة الارجون » . (المترجم) .

(٢) اي : « المحاربون لحرية اسرائيل » — ومن هذه الجماعة نشأ حزب «حيروت» القائم الان في اسرائيل. (المترجم).

القرية العرب ، دون تمييز بين شيوخ او نساء او اطفال . اما بقية السكان فقد نقلهم المهاجمون في « موكب نصر » الى شوارع القدس ، حيث سار الاسرى وثيابهم ملطخة بالدم .

لقد كان الهدف من هذه المذبحة الرهيبة في دير ياسين هو اثارة الذعر بين العرب في البلاد ودفعهم الى الهرب من بيوتهم — وهو هدف تحقق تقريبا بتمامه حين هرب حوالي ثلاثة ارباع مليون عربي من فلسطين . ولقد تأكد بعد المذبحة ان ذلك كان هو الهدف،من اقوال الناطقين الرسميين باسم المنظمتين المذكورتين ، وكذلك ، في المدة الاخيرة من اقوال المؤرخين الموثوق بهم لجيش « الدفاع » الاسرائيلي . فقد اكد هؤلاء ان هذا الحادث قد ادى الى « هرب نتيجة للذعر » بين عرب البلاد . ويجدر بالذكر ان قائد «الهاجاناه» في القدس اعلن بعد اربعة ايام من المذبحة ان قرية دير ياسين « لم تشترك في الهجوم على القدس العبرية وانها كانت احدى القرى العربية .. التي لم تتح للقوات الغازية ان تطأ ارضها » [٣] . وانهى قائد الهاجاناه تصريحه بقوله انه كان

---

(٣) دافار ١٩٤٨/٤/١٢ .

في الهجوم على تلك القرية نوع من «اهانة السلاح العبري».

ولقد ألقت القيادة الرسمية الصهيونية تبعة هذه المذبحة على عاتق المنظمتين المذكورتين اللتين كان يطلق عليهما وقتها لقب « المنسحبين » [٤] ، مؤكدة ، بريائها النموذجي ، موقفها الاخلاقي المناهض لمثل هذه الاعمال . غير انه لم تمض سوى شهور حتى استلمت هذه القيادة ازمّة الحكم ولا تزال تمسك بها حتى الان .

خلال هذه الفترة ، ورغم تغيّر وضع العرب في البلاد تغيّراً جذريا عما كان عليه في ١٩٤٨/٤٧ حين كانوا يعتبرون جانبا محاربا ، ورغم تحولهم الى مواطنين في الدولة ـ حدثت واحدة من ابشع الجرائم وحظيت بنشر محلي وعالمي . وهي : قتل ٤٩ مواطنا عربيا بريئا في قرية كفرقاسم الواقعة في المثلث ، وذلك في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ ، عشية العدوان الانجليزي ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي على مصر الذي ابتدأ في تلك الليلة .

---

(٤) « المنسحبين » او « هيورشيم » (بالعبرية) لقب اطلق على المنظمتين المذكورتين بعد ان انسحبتا من الهاجاناه في ١٩٤٥ بحجة محاربة الانجليز في فلسطين ضد رغبة القيادة الصهيونية الرسمية . (المترجم) .

ان المذبحة التي جرت في كفرقاسم تشكل وصمة عار لا تمحى في تاريخ دولة اسرائيل ، وتقع مسؤوليتها على عاتق القيادة الرسمية في الدولة وعلى عاتق قسم كبير من الطبقة المثقفة في اوساط الشعب اليهودي • وبصورة خاصة تبرز مسؤولية الصحافة العبرية التي عملت خلال فترة طويلة من اجل اضرام نار الكراهية بين الشعبين •

قلنا ان مذبحة كفرقاسم وقعت في ١٩٥٦/١٠/٢٩ • وبعد ذلك بأسبوع (في ١٩٥٦/١١/١٦) نشر رئيس الحكومة بيانا غامضا ألقاه في الكنيست ، تحدث فيه عن سكان « تضرروا » على يد حرس الحدود • وتحدث في البيان عن اقامة لجنة ثلاثية [٥] مهمتها ان تجد : (١) ظروف ما حدث في ١٩٥٦/١٠/٢٩ (٢) مدى مسؤولية رجال حرس الحدود (٣) التعويضات التي يجب على الحكومة دفعها للعائلات المتضررة نتيجة لتصرف حرس الحدود (لعل رئيس الحكومة كان يفكر وقتها باتفاقية التعويضات التي وقعت بين اسرائيل والمانيه الغربية) • وفي بقية البيان تحدث عن تقديم بعض رجال حرس الحدود لمحاكمة عسكرية ، لانهم

---

(٥) اقيمت هذه اللجنة في ١٩٥٦/١١/١ برئاسة القاضي بنيامين زوهر وعضوية رئيس بلدية حيفا السيد اباحوشي والمحامي حوطر يشاي .

« نفّذوا أمرا غير قانوني » .

غير انه لم يكن في هذا البيان ما يلقي ضوءاً على ما حدث ، ولم يعلم بحقيقة ما جرى من بين الجمهور اليهودي سوى اقلية ضئيلة ، بينما علم اغلبية السكان العرب بكل التفاصيل تقريبا ، وذلك من جهات معينة اهتمت بنشر هذه التفاصيل ــ واحيانا بصورة مبالغ فيها ــ في كل المناطق العربية » [٦] .

ولقد استمر الصمت الرسمي حوالي شهر ونصف الشهر بعد حدوث الجريمة . وساد في اوساط الجمهور اليهودي قلق عميق ، بدا في البيانات والاخبار التي نشرت في غالبية صحف الدولة . ولقد وصف الشاعر تتان الترمان [٧] هذا الوضع بدقة حينما نشر قصيدة في «دافار» (٧/١٢/١٩٥٦) يقول فيها :

« بعد ان تبيّنت لك قليلا قليلا تفاصيل ذلك العمل

---

(٦) يشير المؤلف هنا الى ما اشيع في ذلك الوقت من ان الهدف من المذبحة كان بث الذعر بين عرب اسرائيل لدفعهم الى الهرب من البلاد ، ولذلك اهتمت جهات معينة باعلامهم بما حدث في كفر قاسم . (المترجم) .

(٧) شاعر اسرائيلي كبير مقرب جدا من بن جوريون ، ويطلق عليه نقاده الاسرائيليون لقب « شاعر البلاط » . (المترجم) .

الرهيب .

بعد ان انكشفت لك صفته ومداه وانتصبا عاريين
كموجة ابدية .

قارنت ذلك ببيان الحكومة ،
بيانها عن « متضررين » ، بيانها الباهت الشاحب .

ولم ندر هل الى ذلك قصدت الحكومة حقا ،
... لأن هوة رهيبة تفصل بين الحقائق وبين الصدى.

بعد ان تبيّنت لك تفاصيل ذلك العمل الرهيب .

تفاصيله التي لا تستطيع اليد ان ترتفع لتكتبها ،
وليس بسبب قوانين الرقابة المفروضة فقط ...

بعد ذلك عرفت : انه لا يجب الكتابة عن شيء آخر .

لا كتابة قصة ولا قصيدة ، لان اللغة العبرية ترفض ان
تمر بصمت على هذا العمل القذر الذي جرى في اسرائيل.

هذه هي طبيعة هذه اللغة . وهذه صفتها .

يقولون : « ستجري محاكمة ــ وينتهى الامر .
سيتكلم العدل ويصدر حكمه » .

يقولون : « لنترك ذلك للاجراءات القضائية • أو لا يكفى ذلك ؟ »

ــ لا • ذلك ليس كل شيء •
ان القضاء أبجدية مفروغ منها ، لانه لا يمكن للجريمة ألاّ توقظ القانون •
لكن قبل المحاكمة وبعدها ــ سيظل ينقص هذه القضية مبدأ كبير •

لا يمكن ان يقوم مجتمع انساني حدثت فيه مثل هذه النذالة ،
دون ان تثور فيه رعشة وغضب ،
غضب جماهيري يحمل السخط الانساني والفردي ،
سخط الرجال والنساء •
ذلك لانه بدون هذا يكون القضاء رد فعل ميكانيكي، مبرمج وآلي ،
رد فعل يدور في فراغ وليس في وسط شعب واع متيقّظ الحواس •

لقد علمنا ، بل قيل لنا : ان قيادة الشرطة جزعة لما فعله افراد منها •

(لكن من الواجب ان نقول : ان من ارتكبوا الجريمة
لم يكونوا يخضعون لقيادة الشرطة في ليلة منع التجول
اليهودية ••) •
وعلمنا ايضا ، بل قيل لنا ، ان قيادة اركان الجيش قد
زعزعت وان اكثر من وزير امسك رأسه بكلتي يديه ••
ولكنهم يسلبوننا ، نحن ابناء بيت اسرائيل ، حقنا في ان
نعرف وان نقضي •

ذلك انه منذ يوم الجريمة وحتى الآن ، ما زال الامر
قيد البحث ،
ويهمسونه سرا مع انه قد خرج ليتجول في بلاد العالم
الاخرى •
ومنذ ذلك الوقت يحيط هذه القضية كتمان ، كتمان
غير انساني ، وغير عادل وغير ضروري ويواصل المغنون
والمغنيات الغناء في مديح حرس الحدود ،
بينما دم ابرياء يشق في هذا المديح قناة وواديا •

وهكذا ، بدلا من خط قوي واضح يفرق بين الجمهور
وبين مجرميه
بين واجب الحرس الضروري وبين من حوّلوا هذا
الواجب الى شيء مخيف ،

ــ بدلا من هذا يمتد خطر السكوت على كل شيء
وتقام لجنة هي اكثر اللجان سرية وغموضا وخرسا •
هكذا نصبح جميعنا ، بدون قصد ورغما عنا ، من رجل
الشارع الى رؤساء القيادات وحتى وزراء الحكومة ،
ــ نصبح كشركاء في مسؤولية المحافظة على سرية عمل
دموي ، لئلا يسمع صوته •

وهكذا نجد ان شعبنا ينوي ان يكون منارا للشعوب
لا يظهر اية علامة تأثر بسيطة ،
امام جريمة رهيبة ارتكبها شرطيون يحرسون حدوده•
لان كل شيء الآن متروك للقضاء ، لا اكثر •

لا يمكن ان يقوم مجتمع انساني ولا يمكن ان يوجد
جمهور واع ــ
ولا يزأر حين يحدث مثل هــذا الامر ويسأل (دون
حاجة للواعظين) :
كيف حدث ما حدث ؟ وكيف كان يمكن ان يحدث ؟
وماذا يجب عليه ان يفعل لكي لا يحدث نفس الشيء غدا ؟
لا يمكن ان يقوم مجتمع انساني لا يخيفه مثل هــذا
الحادث كالكابوس ،
ولا يهز فيه كراسي مفتشين ورؤساء مفتشين ومعاونيهم،

ولا يزعزع فيه أخطاء ضربت جذورها ،
ولا ينادي معلمين ومرشدين ويوقظ النفوس لتحاسب نفسها وتتحمل مسؤوليتها .
وذلك كله زيادة على العقاب الذي سوف يلقى على مرتكبي الجريمة المسجونين .
لذلك ليس فقط انه لا يجب ابقاء ما حدث سرا .
وليس فقط انه يجب عدم اجراء المحاكمة خلف ابواب مغلقة او بحث الجريمة همسا .
وانما يجب ان يخرج البحث من نطاقه ليتسنى بحث كل شيء في الضوء وبحث اسبابه المباشرة والاساسية ايضا ،
لانه بهذه الطريقة فقط سيقال وسيقرر انه لا يد لهذا الشعب في هذه الجريمة .
صحيح ان الجريمة ارتكبت عشية حرب، عشية اختبار كبير وعاصفة عظيمة ،
لكن اذا كان هنالك معنى لكلمة « ظروف » ... فان ساعة الضيق بالذات ترفع صوتها متهمة ؟
حقا . على حافة ارض المعركة وقعت الجريمة . لكنها وقعت في اقصى ميدان المعركة

بينما في الأطراف الجنوبية للميدان
ينتصب جبل الوصايا العشر » *

وبالتدريج عرف الجمهور اليهودي ، على اثر مقالات مفصلة وطويلة نشرتها الصحف ، ــ عرف اكثر الحقائــق المتعلقة بالجريمة التي حدثت في كفر قاسم ، واضطــرت الحكومة الى تقديم المتهمين وعددهم احد عشر شخصا الى المحاكمة امام محكمة عسكرية . اما هؤلاء المتهمون فهم : (١) الرائد شموئيل ملينكي ، (٢) الملازم جبرائيل دهان ، (٣) الرقيب شالوم عوفــر (٤) الجندي مخلوف حريش (٥) الجندي الياهو ابراهام ، (٦) العريف جبرئيل عوليال ، (٧) الجندي البرت فحيمه ، (٨) الجندي ادموند نحماني ، (٩) العريف اسماعيل عبد الرحمن [٨] ، (١٠) الجنــدي

* تجدر الاشارة هنا الى ان القصيدة تبدو كأنها مقال سياسي . وهذا صحيح . فالشاعر كاتب القصيدة يكتب مقالا اسبوعيا في جريدة «دافار» ولكن بصورة موزونة، وهذه القصيدة واحدة من « مقالاته الموزونة » التي نشرت في هذه الصحيفة . (المترجم) .

(٨) من الشباب الدروز الذين تطوعوا لحرس الحدود . ومن الواضح من تبرئتهما (هو وزميله الجندي شعبان) في المحكمة ان كل محاولات السلطات باقناع الدروز بانهم ليسوا عربا لم تجد شيئا . ولعل شعورهما بعروبتهمــا هو الذي منعهما مــن الاشتراك في المجزرة بصــورة فعلية . (المترجم) .

شعبان سعيد زكريا ، (١١) الجندي دانيال سمنيتس • وقد برىء الثلاثة الاخيرون في المحاكمة •

وفي اثناء المحاكمة تكشف بالتدريج وبصورة جذرية جميع تفاصيل تلك المجزرة الرهيبة التي وقعت في كفر قاسم في ١٩٥٦/١٠/٢٩ •• وفيما يلي مقتطفات تصف سير الاحداث وتطورها [٩] :

« عشية (حرب سيناء) •• القي على احدى الكتائب التابعة لقيادة منطقة المركز ان تستعد للدفاع عن قسم من الحدود الاسرائيلية الاردنية •• (ولاجل ذلك) ضمت في ١٩٥٦/١٠/٢٨ احدى وحدات حرس الحدود الى الكتيبة العسكرية المذكورة سابقا ، ووضع قائد وحدة حرس الحدود الرائد ملينكي تحت امرة قائد الكتيبة العسكرية اللواء يششخار شدمي • وفي صباح ١٩٥٦/١٠/٢٩ اعلم قائد منطقة المركز الفريق تزفي تسور (بعد ذلك رئيس اركان

---

(٩) هذا الوصف مبني على اخبار ومقالات نشرت في الصحف الاسرائيلية وخاصة على قرار المحكمة المركزية التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي (منطقة المركز) . المحكمة العسكرية م د/٥٧/٣ النائب العسكري ضد الميجور ملينكي وآخرين . قرارات المحكمة المركزية (١٧) ٩٠ ، ص (٩٩).

الجيش) ـ اعلـم اللواء شدمي وبقية قـادة الوحدات بالسياسة التي تقرر اتخاذها تجاه السكان العرب » ص ٩٩ من قرارات المحكمة المركزية (١٧) .

وفي صفحة ١٠٠ نجد ما يلي :

« وقد اضاف قائد المنطقة وأكّد لقادة الوحدات ان تأمين العملية في الجنوب (اي حملة سيناء) يقتضي المحافظة المطلقة على الهدوء في المنطقة المحادة للاردن .

« .. بعد الاعلان عن هـذه السياسة طلب اللواء شدمي ان تمنح لـه صلاحية فرض منـع التجول ليلا في قرى الاقليات الموجودة في المنطقة الخاضعة لوحدته وذلك من اجل : (١) التسهيل على تحركات قواته (٢) منع تعرض السكان للاصابات من جانب جنود الاحتياط... ولقد اقتنع قـائد المنطقة بذلك ومنح اللواء شدمي صلاحية فرض منع التجول .

« في اليوم نفسه (٢٩/١٠/١٩٥٦) دعـا اللواء شدمي الرائد ملينكي الى مقر قيادته وابلغه بالواجبات الملقاة على الوحدة الخاضعة له وبالتعليمات التي تتعلـق

بتنفيذ هذه الواجبات . وكان احد الواجبات التي القيت على عاتق وحدة حرس الحدود المذكورة فرض منع التجول وبقاء السكان داخل البيوت في قرى كفر قاسم وكفر برّه وجلجولية والطيرة والطيبة وقلنسوه وبير السكّه وابثان ، وذلك في ساعات الليل ، واتفق القائدان على ان ساعات الليل التي يسود فيها منع التجول تعتبر من الخامسة مساء حتى السادسة صباحا .

« وفي بقية كلامه اصدر قائد الكتيبه (شدمي) أمره لقائد الوحدة (ملينكي) بان منع التجول يجب ان يكون حازما جدا وان يحافظ عليه بيد قوية ، لا بواسطة اعتقال المخالفين وانما باطلاق النار . واضاف موضحا له : من الافضل قتيل واحد (وحسب شهادة اخرى : « من الافضل عدة قتلى ») بدلا من تعقيدات الاعتقالات » .

« وحين سأل ملينكي عن مصير المواطن الذي يعود من عمله خارج القرية ، دون ان يعلم بامر منع التجول ، ومن المحتمل ان يقابل في مدخل القرية وحدات حرس الحدود ، اجابه شدمي : « لا اريد عواطف » و « الله يرحمه » .

« ولقد اصدر شدمي امره الى ملينكي وهما على

انفراد وبصورة شفهية . وقد كتب ملينكي اثناء المحادثة في يومياته كلمات معدودة ... هي :

« فرض منع التجول من المساء حتى الصباح بين الساعة (١٧٫٠٠ ـ ٠٦٫٠٠) سياسة حازمة [١٠] » .

كذلك فان مسودة الامر كما صاغها ملينكي وقدمها الى ضابط قوات الاحتياط التابع لفرقته ، وذلك قبل فرض منع التجول بقليل ، كانت تشمل في بند « الاسلوب » الكلمات التالية :

« لا يسمح لاي ساكن ان يترك بيته خلال منع التجول. ومن يترك بيته ـ تطلق عليه النار. ولا تكون اعتقالات» [١١].

مزوّدا بهذه التعليمات أعد الرائد ملينكي في مقر قيادته وباشتراك جميع ضباطه ، مجموعة من الاوامر الموجهة الى قواته . وفي تلك الجلسة : « اعلم (ملينكي) الضباط المجتمعين بابتداء الحرب وبخضوع وحداتهم لقيادة جيش الدفاع الاسرائيلي ، وان مهمتها هي فرض منع التجول في

(١٠) قرارات المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠١) .
(١١) قرارات المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠١) .

قرى الاقليات بين الساعة ١٧٫٠٠ ـ وحتى الساعة ٦٫٠٠ صباحا ، وذلك بعد اعلام المخاتير في الساعة ١٦٫٣٠ . وبخصوص المحافظة على منع التجول اكد ملينكي انه ممنوع الاضرار بالسكان الذين يلتزمون بيوتهم ، ولكن كل من يوجد خارج البيت (وحسب شهادة اخرى : كل من يخرج من البيت ، كل من يخالف منع التجول) تطلق عليه النار لقتله . واضاف قائلا انه لن تكون هنالك اعتقالات وانه اذا سقط خلال الليل عدة قتلى (وحسب شهادة اخرى : من المرغوب فيه ان يسقط عدة قتلى) فان مثل هذا الامر سيسهّل المحافظة على منع التجول في الليالي القادمة » [١٢] .

« ... واستمرارا لمجموعة الاوامر سمح الرائد ملينكي بتوجيه اسئلة اليه . وقد سأل ع. م. م. فرنقننطال : ماذا نفعل بالمصابين (حسب شهادة اخرى : بالجرحى) ؟ فاجاب ملينكي : يجب عدم الاهتمام بهم . (حسب شهادة اخرى : يجب عدم نقلهم ، وحسب شهادة ثالثة : لن يكون هناك جرحى) . وسأل م.ر منشس آريه، وهو احد قادة الاقسام : وماذا بخصوص النساء والاولاد ؟

---

(١٢) قرارات المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠١) .

فاجاب ملينكي : بدون عواطف (حسب شهادة اخرى : حكمهم كحكم الجميع ، فمنع التجول يشملهم ايضـا) •
فاضاف منشس سائلا : وماذا بخصوص العائدين من العمل؟
ــ وهنا حاول •• ألكسندروني ان يتدخل ، لكن ملينكي اسكته واجاب : حكمهم كحكم الجميع (حسب شهـادة اخرى اضاف : « الله يرحمهم ــ هكذا قال القائد ») •

وفي بروتوكول الجلسة •• الذي سجل •• ووقعه ملينكي بعد وقت قصير من توقيعه مجموعة الاوامر ، جـاء ما يلي :

« ابتداء من اليوم ، الساعة ٠٠ر١٧ يفرض منع التجول في قرى الاقليات حتى الساعة ٠٠ر٦ صباحا ، وكل الذين يخالفون هذا الامر نطلق عليهم النار لقتلهم » [١٣] •

بعد ذلك الاعداد السكيولوجي وبعد تلك التعليمات التي تلقاها الجنود ــ الشرطيون « بان يطلقوا النار ليقتلوا » كل من يخالف منع التجول ، خرجت المجموعة [*] الى قرية كفر قاسم لتواصل عملها ، وهناك :

---

(١٣) قرارات المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠١ ــ ١٠٢) •
(*) المجموعة في الجيش الاسرائيلي ٣٠ جنديا •

« اجرى الملازم دهان .. قبل خروج المجموعة الى مكان عملها ، ارشادا لمجموعته ، فأعلم جنوده بان وظيفتهم ستكون تنفيذ منع التجول في كفر قاسم من الساعة ١٧ حتى الساعة ٦ صباحا ، وان عليهم اطلاق النار بنية القتل ، على كل انسان يشاهد بعد الساعة ١٧ خارج البيت ، دون تفريق بين رجال ونساء واولاد وعائدين من خارج القرية » [١٤] .

وفي كفر قاسم نفسها قسّم الملازم دهـان مجموعته الى اقسام يتكوّن كل منها من ٣ ـ ٤ رجال (بما في ذلك قائدهم) مزودين بمدافع رشاشة او بنـادق اوتوماتيكية وبنادق ، وركز كل قسم في مكان يشرف على احدى ضواحي القرية او في احد مداخلها او نهايتـه . وألقى على رؤساء الاقسام مسؤولية تطبيق منع التجول وكذلك منحهم صلاحية الامر باطلاق النار حسب تعليماته السابقة التي عاد وكررها .

« وقد تمركز احد هذه الاقسام ، برئاسة الرقيب شالوم عوفر .. ومعه الجنديان ... مخلوف حريش واليـاهو ابراهام ، وكانوا مزودين بمدفع برن وبندقيتين ـ تمركز هذا القسم في المدخل الغربي للقرية في مكان يسيطر على الشارع

(١٤) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠٣) .

المعبد الوحيد المؤدي لكفر قاسم .

« اما قسم آخر بقيادة العريف جبرئيل عوليال .. ومعه ثلاثة جنود (الشرطي بورشتاين والجنديان البرت فحيمه وادموند نحماني) فقد تمركز في المدخل الشرقي للقرية . وكان في حوزة هذا القسم بازوكا ، ومدفع عوزي ، ومدفع برن وبندقية . وبعد وقت ما من ابتداء منع التجول .. نقل هذا القسم من مكانه في شرقي القرية ، وضمّ العريف عوليال والجنديان البرت فحيمه وادموند نحماني الى القسم التابع لعوفر في المدخل الغربي . كذلك ركزت اقسام اخرى في شمال القرية ووسطها وجنوبها [١٥] .

« اما الملازم دهان نفسه ومعه العريف اسماعيل عبد الرحمن ، والجنديان شعبان سعيد زكريا [١٦] ودانيال سمنيتس وسائق الجيب ـ مزودين بمدفع عوزي ومدفع برن وثلاثة بنادق ـ فقد كوّنوا قسما متجولا ، يطوف في

(١٥) مما يثير التفكير هنا انه لم يذكر عن تركيز اية قوة شرقي القرية ، اي على الحدود المشتركة مع الاردن. (المترجم).

(١٦) مما يثير التفكير ان دهان لم يضم هذين الجنديين الدرزيين الى اي قسم آخر بل ابقاهما تحت قيادته المباشرة وكانه يشك بهما . (المترجم) .

القرية ويشكل حلقة وصل بين الاقسام المختلفة » [١٧] .

في اليوم نفسه (٢٩/١٠/١٩٦٧) في الساعة ١٦٫٣٠ اعلم رقيب من حرس الحدود مختار القرية بفرض منع التجول ابتداء من الساعة الخامسة مساء وحتى السادسة صباحا وحذره بان منع التجول سيكون حازما ويتضمن خطر الموت ، وطلب منه ان يعلن عن ذلك في القرية ، ولكن المختار وديع احمد صرصور اجاب الرقيب : « انه يوجد ٤٠٠ عامل (من ابناء القرية) خارج القرية وقسم منهم حولها او في اماكن عمل قريبة منها بصورة عامة مثل مستوطنة « عوسفية » . اما القسم الاخر فانه موجود في اماكن بعيدة مثل بتاح ـ تكفا ، اللد ، يافا وغيرها . وانه لا يستطيع ان يعلم هؤلاء الموجودين خارج القرية بامر منع التجول ، وبعد نقاش وعد الرقيب المختار .. ان يدع جميع العائدين من العمل يمرّون على مسؤوليته ومسؤولية الحكومة . اما المختار فانه بمساعدة ابناء عائلته اعلن في مركز القرية وفي شمالها وجنوبها عن فرض منع التجول ، وان كل من يوجد داخل القرية يجب ان يدخل بيته قبل الساعة الخامسة

(١٧) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠٤) .

مساء » (١٨) •

بكلمات اخرى : ان منع التجول في كفر قاسم ، والذي علم مختار القرية عن فرضه في الساعة ٤٫٣٠ من يوم ٢٩/١٠/١٩٦٧ ، قد دخل الى حيز التنفيذ بعد نصف ساعة من ذلك ، في اليوم نفسه ، اي في الساعة الخامسة ، حيث كان العشرات من ابناء القرية موجودين في اماكن عمل مختلفة ، وليس في امكاناتهم ان يعلموا بفرض منع التجول، ولقد كان في انتظار هؤلاء العمال مصير مر حين عادوا من اماكن عملهم الى قريتهم • ففي خلال الساعة الاولى من منع التجول ، اي بين الساعة الخامسة والساعة السادسة مساء ، قتل رجال حدود دولة اسرائيل ٤٧ مواطنا عربيا في كفر قاسم• ولقد نفذت عملية القتل بدم بارد وبقسوة وبدون اي سبب• ومن ضمن الـ ٤٧ الذين قتلوا خلال تلك الساعة قتل ٤٣ في المدخل الغربي للقرية ، وقتل واحد في مركزها وثلاثة في شمالها ، وبالاضافة الى ذلك جرح عدد اخر من المواطنين •

كان بين الـ ٤٣ الذين قتلوا في مدخل القرية الغربي سبعة اولاد وبنات وتسع نساء بين شابات ومسنات احداهن عمرها ٦٦ سنة واكثرهم من سكان كفر قاسم الذين عادوا بين

---

(١٨) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠٧) .

الساعة الخامسة والسادسة من اعمالهم خـارج القرية • وكلهم تقريبا عادوا عن طريق الشارع الرئيسي ، أقلّهم مشيا على الاقدام واكثرهم راكبين درّاجات او عربات تجرهـا الدواب او سيارات نقل • وفي اكثر الحالات جوبه العائدون حين وصلوا تخوم قريتهم بقسم من حرس الحدود امرهم بالوقوف وامر المسافرين منهم ان ينزلوا من وسائل النقل التي كانت تنقلهم ، وبعد ان تبين انهم من سكان القـرية العائدين من اعمالهم صدر الامر باطلاق النار ، وفي الحـال انطلق الرصاص على الواقفين مـن مدافـع اوتوماتيكية وبنادق ، عن بعد قريب • « وفي كل مجموعة من العمـال العائدين قتل قسم وجرح قسم آخر وقليلون فقط نجحـوا بالهرب دون ان يصابوا • ولقـد راحت نسبة القتلى بين العائدين ترتفع • ففي المجموعة الاخيرة التي كانت مكونة من ١٤ امرأة وولد و ٤ رجال قتل الجميع سوى فتاة واحدة اصيبت بجراح بالغة » •

ولقد كان من الممكن ان تستمر عمليات القتل هـذه بصورة متزايدة وان تجر الى مصيبة اكبر • « لكن دهان الذي اشترك شخصيا •• في القتل ، والذي اطلع خـلال تجواله في الجيب على كل ما يجري في القرية ، ابلغ القيادة عدة مرات ، بواسطة جهاز لاسلكي كان في سيارته ، عن عدد القتلى • وتتضارب الاراء حول الرقم الذي ذكره في اتصالاته

بالقيادة ، لكن الاراء كلها متفقة على انه في بلاغه الاول قال: « واحد أقل » (اي : قتيل واحد) وفي بلاغيه الاخيرين قال: « (١٥) أقل » ثم « كثيرون أقل من الصعب عدّهم » . ولقد التقط البلاغين الاخيرين ، واللذين جاء الواحد منهما في اثر الاخر ، النقيب ليفي وحوّلهما الى قائد الوحدة ملينكي ، الذي كان في ذلك الوقت في قرية جلجوليه برفقة ليفي . وعلى اثر تبليغه بان الوضع وصل الى « ١٥ أقل » في كفر قاسم اصدر ملينكي امرا ــ لم يستطع ان يبلغه لدهان قبل وصول بلاغ « كثيرون اقل ، من الصعب عدّهم » ــ بوقف اطلاق النار والتصرف باعتدال في كل المنطقة ... هذا الامر وضع حدا لسفك الدماء في كفر قاسم » [١٩] .

هنا ينتهي وصف مجرى الاحداث الاساسية بصورتها العامة ، لكنه لا مفر من الوقوف على تفاصيل الامور . ولكي يتضح لنا جميعا كيف تمت تلك الجريمة الرهيبة في كفر قاسم مساء ٢٩/١٠/١٩٥٦ ، فاننا نعتقد ان وصف المذبحة بكل تفاصيلها يمكن ان يلقي ضوءا على الدوافع الجذرية الكامنة وراءه ، وتساعد على فهم مداه ومغزاه . ومن اجل ذلك نعود ثانية الى قرار المحكمة المركزية ، حيث وصفت تفاصيل الجريمة بوضوح ودقة . فاعتمادا على

---

(١٩) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠٦) .

الشهادات الكثيرة التي سمعت ، قررت المحكمة :

« كان اول العائدين الذين اطلقت النار عليهم فيالمدخل الغربي للقرية ، اربعة عمال محاجر عادوا راكبين دراجات وذلك من اماكن عملهم في نواحي بتاح تكفا ورأس العين . فبعد وقت قصير من ابتداء منع التجول اجتاز العمال الاربعة معا منحنى الشارع وهم يدفعون دراجاتهم بايديهم . وبعد ان تقدموا ١٠ ــ ١٥ مترا في الطريق الى مدرسة القرية ، فتحت عليهم النار من الخلف ، من الجهة اليسرى ومن مدى قريب . وقد قتل اثنان منالاربعة (احمد محمود فريج وعلي عثمان طه ، ابناء ٣٠ سنة) في الحال . واما الثالث (الشاهد محمد محمود فريج ، اخو القتيل احمد فريج) فقد جرح في ساقه وذراعه . واما الرابع (الشاهد عبد الله سمير بدير) فقد ألقى بنفسه علىالارض دون ان يصاب . وقد سقطت على الجريح محمد دراجته وغطت جسده ، وهكذا ظل مستلقيا دون حراك طوال كل فترة الاحداث الدموية التي جرت حوله . واخيرا زحف الى كرم زيتون واستلقى تحت شجرة زيتون حتى الصباح . واما عبد الله فقد اطلقت عليه النار ثانية حين تدحرج من الشارع الى الرصيف ، وعندها تنهد وتظاهر بانه ميت . وبعد المذبحتين اللتين تبعتا ذلك واللتين جرتا بجانبه اختبأ بين قطيع من الاغنام كان راعيه قد

قتال ؛ وهرب مع القطيع الى القرية » [٢٠] .

« بعد وقت قصير من وقوع الحادثة المذكورة اعلاه ، وصلت الى المنحنى عربة على عجلين يجرها بغل . وكان يجلس فيها الشاهد اسماعيل محمود بدير .. وابنته الصغيرة (٨ سنوات) ، اللذان عادا من بتاح تكفا راكبين العربة ، بينما كان يمشي بجانب العربة او خلفها ثلاثة اشخاص يحملون خضارا ، احدهم من سكان كفر برّه . وكان احد هؤلاء الثلاثة فتى (١٤ سنة) هو الشاهد محمد عبد الرحيم عيسى ، في الوقت نفسه وصل الملازم دهان بسيارته ومعه القسم المتجول المرافق له .. والسائق حزقيل يعقوب ، وذلك لاجراء جولة بجانب المنحنى . وقد اصدر دهان امره لرجاله ان ينزلوا من السيارة ، فنزلوا وهم يحملون سلاحهم (مدفع برن وبندقيتان) بينما نزل هو حاملا بيده مدفع عوزي واقترب من العربة . وقد اصدر دهان أمره الى اسماعيل ان ينزل من العربة وان يقف مع الرجلين الآخرين (اللذين كانا يمشيان بجانب العربة) على جانب الطريق ، في صف واحد ... بعدها امر دهان الفتى محمد ان يصعد الى العربة ، وارسله مع البنت الباكية الى القرية ، ثم اصدر دهان امره باطلاق النار على الرجال الثلاثة ، واطلق النار عليهم بنفسه من مدفع

---

(٢٠) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠٨ ــ ١٠٩) .

العوزي الذي كان بيده . وقد اصاب الرصاص الرجال الثلاثة وسقطوا ... واستمر اطلاق الرصاص عليهم ايضا بعد سقوطهم على الارض . وقد قتل اثنان من الثلاثة ، هما اللذان كانا يسيران على اقدامهما ويحملان خضارا ، وهما : غازي محمود درويش عيسى (٢٠ سنة) ومحمد عبد الرحمن عاصي . اما اسماعيل فقد اصيب بجراح بالغة ، حيث استقرت عدة رصاصات في وركيه وفي ساقه ، واعتبره رجال حرس الحدود ميتا » [٢١] .

« وبعد وقت قصير من عملية القتل هذه عاد احد رعاة الاغنام وابنه (عمره ١٢ سنة) مع قطيعهم من المرعى ، وقد اقترب الاثنان ، عن طريق المستوطنة اليهودية « مسحه » ، من المنحنى . ومرت الاغنام في الطريق حتى وصلت مدرسة القرية . وكان الراعي يقذف حصى على الاغنام التي حادت عن الطريق ليوجهها الى طريق « مسحه » . وعندها اطلق ٢ ـ ٣ جنود ، كانوا يقفون بجانب المنحنى ، النار من مدى قريب على الراعي وابنه وقتلوهما . والقتيلان هما : عثمان عبد الله عيسى (٣٠ سنة) (وابنه) فتحي عثمان عبد الله عيسى (١٢ سنة) [٢٢] » .

---

(٢١) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠٩ ــ ١١٠) .
(٢٢) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١١٠) .

« وبعد مرور وقت ما •• (على ذلك)••وصل المنحنى الشاهد عمر محمود عوده (٥٧ سنة) وهو مزارع وتاجـر كان عائدا في سيارة النقل التابعة له من بتاح تكفا • وكان الشاهد يجلس بجانب السائق • واما في صندوق السيارة الخلفي فكان يجلس ابنه وشريكه ••• وعاملان من ابنـاء كفر قاسم • وحين اقترب من المنحنى رأى الشاهد ثلاثـة جنود يطلقون النار على شخص ما ، وفي الحال امر سائقه ان يوقف السيارة ، واقترب احد الجنود من السيارة ودون ان يسأل اية اسئلة امر السائق ان يواصل السفر • وقد خضع السائق للأمر حسب امر الجندي • وفي الحال ، حين مـر بالمنحنى ، اطلقت النار على السيارة من الخلف ، من اسلحة الجنود الذين كانوا يقفون على المنحنى • واستمر اطـلاق النار خلال ابتعاد السيارة عن المكان بسرعة • وقد اصيب السائق بالذعر وخرج بالسيارة عن الشارع ، ولكنه عاد اليه اخيرا ووصل الى بيت عوده الموجود خلف المدرسة ، وحين نظر عوده الى صندوق السيارة الخلفي وجد شريكه (محمود عبد الجسّار ريان) قتيلا » [٢٣] •

« وبعد وقت قصير من حادث سيارة عوده ، وصلت المنحنى عربة ذات اربع عجلات يجرها بغل • وكان يجلس

---

(٢٣) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١١١) •

في العربة صاحبها ـ الشاهد اسماعيل عقاب بدير ـ الذي كان عائدا من بتاح تكفا ، ومعه ابن عمه ـ الشاهد توفيق ابراهيم بدير ـ الذي انضم اليه في الطريق • وبالقرب من المنحنى اوقف جندي العربة ، وأمر الراكبين ان ينزلا منها ويقفا بجانبها في الشارع • اما الجندي فوقف بجانب المنحنى، بينما استلقى غير بعيد عنه جنديان مسلحان ، بجانب الطريق المؤدي للمدرسة ، وفي الحال بعد وصول هذه العربة بدأت تصل الى المنحنى جماعات كثيرة من العمال راكبي الدراجات التي كانت مصابيحها مضاءة • وقد أمر الجندي كل واحد منهم ان يضع دراجته بجانب العربة وان يقف في صف واحد مع راكبي العربة وبقية راكبي الدراجات ، وكان مجموع من وقف في هذا الصف ١٣ شخصا ، وحين وقف احدهم ـ المرحوم سليم احمد بشير بدير ـ في طرف الصف صرخ به الجندي : « ايها الكلب ؟ قف في وسط الصف » ، وعندها انتقل المرحوم الى وسط الصف ••

« وحين لم تعد ترى في الافق مصابيح دراجات اخرى، سأل الجندي المذكور الواقفين في الصف من اين هم ، وكان جوابهم انهم جميعا من كفر قاسم • وفي تلك اللحظة خطا الجندي الى الخلف وصرخ بالجنديين المستلقيين مقابل الصف (وكان بيد احدهما مدفع برن) : « احصدهم » ! • وفي الحال انطلق مطر من الرصاص على الواقفين فسقطوا جميعا

سوى مصطفى ... الذي هرب قافزا من فوق الجدار [٢٤] . وقد استمر الجنود يطلقون النار على الذين سقطوا وبدت منهم بادرة تدل على انهم احياء . وحين بدا انهم جميعا ميتون او يلفظون انفاسهم اخلى الجنود الشارع من الجثث وركزوها في كومة على جانب الشارع . وقد قتل من الـ (١٣) المذكورين ستة واصيب اربعة بجراح بالغة . وهذه اسماء القتلى :

محمود عبد الرزاق صرصور (١٨ سنة)

علي نمر محمد فريج (١٧ سنة)

صلاح محمد احمد عامر

سليم احمد بشير بدير (٥٠ سنة)

عبد الله عبد الجاسر بدير (٢٥ سنة)

عبد سليم صالح عيسى (٢٠ سنة) .

« اما الشاهد اسماعيل (٢٠ سنة) فقد اصيب في رجله اليمنى ، وبعد ان ترك الجنود المكان زحف الى شجرة وجلس بين اغصانها مدة يومين الى ان نقل الى المستشفى وقطعت

---

(٢٤) يوجد جدار من الحجارة بجانب المنحنى كما رآه المترجم . (المترجم) .

رجله اليمنى ، واما الشاهد توفيق (٢٥ سنة) فقد اصيب في وركه الايمن ، واما الشاهد صلاح (١٩ سنة) فقد جرح في رجله اليمنى ويده اليسرى وسقط على عجلات العربة . ولكي ينجو من الرصاص الذي اطلق على الجرحى تظاهر بانه ميت وجره الجنود الى كومة الموتى ، حيث ظل مستلقيا هناك حتى نهاية كل الحوادث ، وبعد ذلك وصل زحفا الى احدى الاشجار وجلس تحتها حتى الصباح ، حين نقل الى المستشفى . واما الشاهد اسعد (اخو القتيل عبد سليم صالح عيسى) (٢٦ سنة) فقد اصيب برصاصة في وركه الايمن ، وبعد ان سقط اطلقت النار عليه ثانية واصيب في وركه الايسر . وهذا الشاهد ايضا نقله الجنود الى كومة الموتى واستلقى بين الجثث حتى نهاية الحوادث ، واثناء الليل نقل الى المستشفى . وقد رأى الشاهدان توفيق واسعد كيف ان سليم احمد بشير بدير (وهو الذي امر ان يقف في وسط الصف) سقط جريحا او كان يلفظ انفاسه ، وكيف ان احد الجنود اقترب منه وقرر انه ما زال حيا ثم قتله برصاصات اخرى » [٢٥] .

« وبعد وقت قصير من قتل راكبي الدراجات اقتربت من المنحنى سيارة نقل مضاءة المصابيح ، وقبل وصولها

(٢٥) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١١٢ ـ ١١٣) .

المنحنى بـ ١٠ ـ ١٥ مترا اوقفها جندي وامر السائق وركاب السيارة (١٨ شخصا) ان ينزلوا منها وان يقفوا في مجموعة واحدة في الجهة اليسرى (شمالا) من الشارع، امام السيارة. وبعد ان سأل الجندي الواقفين من اين هم واجابوه بانهم من كفر قاسم : اصدر امره الى جنديه اللذين كانا مستلقيين بجانب الشارع ، بين مجموعة العمال والمنحنى ، واللذين كان في يد احدهما مدفع برن ـ فاطلقا النار على الـ (١٩) شخصا الواقفين . وقد قتل منهم عشرة ، هم :

عطا يعقوب عبد صرصور (٢٢ سنة)

رياض رجا حمدان داوود (٨ سنوات)

جمال سليم محمد طه (١١ سنة)

جمعه محمد عبد صرصور (٢٠ سنة)

موسى دياب عبد فريج

عبد سليم محمد فريج (١٤ سنة)

صالح مصطفى احمد عيسى (١٧ سنة)

عبد الرحيم محمد بدير (٢٥ سنة)

احمد محمد جوده عمار (١٧ سنة)

جمعه توفيق احمد جبارين

« ولقد ادلى بشهاداتهم امامنا اربعة من ركاب السيارة الذين نجوا : وهم : رجا حمدان داوود ، وهو والد الطفل القتيل رياض : عيسى دياب فريج ، وهو ابن ١٣ سنة ، واخو القتيل موسى دياب فريج ، عبد الرحيم سليم طه ، وجمال نمر فريج ، وكلهم من سكان كفر قاسم .

« وقد روى رجا في شهادته انه في الساعة الخامسة حضر اليه ابنه الصغير رياض برفقة الولد جمال ، واخبره انه فرض منع التجول في القرية وان والدته تطلب منه ان يسرع في العودة الى البيت ... وقد صعد اكثر من عشرة اشخاص الى سيارته .. وسافروا جميعا في طريقهم الى القرية ، ولقد عرف ركاب هذه السيارة الـ (١٩) ، ومن ضمنهم السائق — عرفوا ، بعكس اغلبية العائدين الاخرين ، بفرض منع التجول ، ولكنهم لم يروا في ذلك ما يمنعهم من العودة الى القرية ، على العكس ... لقد اسرع (هؤلاء العمال) .. بالعودة الى بيوتهم بسبب منع التجول. بل ان رجا هو الذي اقنع السائق الذي ادعى انه ليس في حوزته رخصة لنقل ركاب في سيارته — اقنعه بنقلهم جميعا ، وذلك لاعتقاده ان السفر في سيارة اثناء منع تجول أسلم من المشي على الاقدام. وبعد ايقاف السيارة ونزول رجا ورفاقه منها صرخ ابنه الصغير : « ابي ! انزلني » . وهكذا عاد الشاهد وانزل ابنه من صندوق السيارة الخلفي ، وانضم الولد الى مجموعة

الواقفين على جانب الشارع •

« وقد توجه الشاهد الى الجندي الواقف امام العمال ليريه شهادة هوية وليسأله لماذا يعتقلهم • ولكن في اللحظة نفسها امر الجندي باطلاق النار فانصب مطر من الرصاص على الواقفين • وحين قفز الشاهد خلف الجدار وجّهت طلقات مدفع البرن ناحية الجدار ، ولعله بسبب هذا نجا قسم من مجموعة العمال • اما ابن الشاهد رجا ، رياض (ابن ٨ سنوات) ، وصديقه جمال (ابن ١١ سنة) فقد كانا بين القتلى •

« واما الشاهد عيسى ، وهو ولد ابن ١٣ سنة ، فقد كان بين الواقفين في المجموعة حين اطلقت النار عليهم • وقد سقط دون ان يصاب وفقد وعيه ، اما اخوه موسى ، الذي كان ضمن المجموعة نفسها ، فقد قتل •

« واما الشاهد عبد الرحيم ، الذي كان هو ايضا من اعضاء المجموعة ، فقد سقط من الخوف حين اطلق الرصاص ، ولكنه لم يصب • وبعد ذلك اقترب احد الجنود من الذين سقطوا واطلق النار على كل من رآه حيا • وقد اصيب الشاهد في رجله ويده حين كان مستلقيا على الارض» [٢٦] •

(٢٦) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١١٤ ــ ١١٥) .

« وبعد وقت قصير من قتل ركاب سيارة النقل وايقافها في طرف الشارع ،بجانب كومة الموتى ، اوقف الرقيب شالوم ورجاله على بعد عشرة امتار غرب المكان الذي اوقفت فيه السيارة الاولى ــ سيارة نقل اخرى كانت في طريقها الى القرية . وكان يجلس في صندوق السيارة الامامي (والتي كانت محملة بلبنات للبناء) السائق وشخص اخر ، وقد امرهما الجنود بالنزول وسألوهما من اين هما ، وبعد ان اجابا انهما من كفر قاسم اطلقوا عليهما النار فقتلوهما . والقتيلان هما : محمود خضر جابر صرصور (٢٧ سنة) ويوسف محمد اسماعيل صرصور » [٢٧] .

« بعد السيارة المذكورة بوقت ما ، وصلت الى المكان سيارة نقل ثالثة وفيها ٤ رجال و ١٤ امرأة من مختلف الاعمار (من ١٢ الى ٦٦ سنة)، وكانوا في طريقهم الى كفر قاسم ... وقد تابعت السيارة سفرها في المنحنى دون ان تتوقف ، وعندها ركض خلفها جندي كان لا يزال في مكان الحادث السابق وصرخ : « قف » ، وكانت السيارة وقتها قد قطعت المنحنى واتجهت الى شارع المدرسة . وعندها قطع الجندي المسافة بين الشارع وعاد يصرخ : « قف ! قف ! » . وفي الوقت نفسه نادى اثنين او ثلاثة جنود اخرين ، كانوا يقفون

---

(٢٧) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١١٧) .

في المساحة التي تفصل بين الشارعين ، طالبا منهم ان يتبعوه ، وقد انضم هؤلاء الجنود اليه .

«وقد توقفت السيارة في الطريق المار قرب المدرسة... وعندها أمر الجندي الاول ، السائق والركاب بالنزول منها. وقد ركز السائق سلّما على صندوق السيارة الخلفي وقال للنساء : « يا اخواتي ، انزلن . اخرجن بطاقات هوية يا اخواتي » . وكانت النساء قد رأين جثث ابناء قريتهن حين مرت السيارة بالمنحنى ، فرحن يتوسّلن الى الجندي القائد ان يعفو عنهن . ولكن الجندي لم يعر اتنباها لا لبطاقات الهوية ولا لتوسل النسوة ، وانما اصر على طلبه بأن ينزل الجميع من السيارة . وحين استقرت اقدام الـ ١٤ امرأة والـ ٤ رجال على الارض اصدر امره للجنود المذكورين الذين وصلوا الى المكان ، باطلاق النار . وقد اطلق الجنود النار على المجموعة ، ولم يهدأ لهم بال حتى قتل ١٧ من مجموع الـ ١٨ نفسا . واما النفس الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة فهي حنة سليمان عامر (بنت ١٤ سنة) التي اصيبت بجروح بالغة في رأسها ورجلها وبدت وكأنها ميتة . وهذه اسماء القتلى :

محمود محمد مصاروه (٢٥)
محمد دياب عبد صرصور

محمد سليم خضر صرصور (١٥)
عبد الله محمد عبد صرصور
صفا محمد عيسى صرصور (٤٥)
فاطمة صالح احمد صرصور
آمنة قاسم سعيد طه (٥٠)
خميسة فرج محمد عامر (٥٠)
زغلولة احمد بشير عيسى (٤٥)
حلوة محمد عوده بدير (٦٠)
فاطمة داوود حمد صرصور (٣٠)
رشيقة فايق ابراهيم بدير
زينة عبد الرحمن طه (٤٥)
فاطمة محمد سليمان بدير (٤٠)
فاطمة مصطفى محمد عيسى (١٨)
لطيفة داوود محمد عيسى
زهدية محمد اسماعيل طه

« واثنتان من البنات اللواتي قتلن ، رشيقة ولطيفة ، عمر كل منهما (١٢ سنة) ، واثنتان اخريان ، فاطمة وزهدية، عمر كل منهما (١٤ سنة) [٢٨] » (انتهى) .

هذه هي الاحداث الرئيسية التي جرت في كفر قاسم في

(٢٨) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١١٧ ـ ١١٨) .

تلك الليلة ، والتي في اعقابها قدّم ، كما ذكرنا ، المشتركون فيها الى محاكمة عسكرية •

ولقد استمرت المحاكمة وقتا طويلا ، وصدر الحكم في ١٦/١٠/١٩٥٨ ، اي بعد سنتين من الحادث •

وفي حكمها قررت المحكمة انها وجدت الرائد شموئيل ملينكي والملازم جبرائيل دهان مذنبين في قتل ٤٣ مواطنا وحكمت على الاول بالسجن ١٧ سنة وعلى الثاني بالسجن ١٥ سنة • اما المتهم الثالث شالوم عوفر ، الذي ارتكب بصورة رهيبة اكثر عمليات القتل ، فقد وجد مذنبا مع دهان بقتل ٤١ مواطنا وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة ، اما المتهمان رقم ٤ ورقم ٥ ـ الجندي مخلوف حريش والجندي الياهو ابراهام ـ فقد وجدا مذنبين بقتل ٢٢ مواطنا • واما المتهمون (٦) ، (٧) ، (٨) ـ العريف جبريئيل عوليال ، والجندي البرت فحيمه ، والجندي ادموند نحماني ـ فقد وجدوا مذنبين بقتل ١٧ مواطنا ، وقد حكم على هؤلاء الثلاثة وعلى الاثنين السابقين بالسجن مدة ٨ سنوات لكل واحد • بالاضافة الى ذلك جرد المتهمون اصحاب الرّتب من كل رتبهم • اما المتهمون الثلاثة الباقون ـ العريف اسماعيل عبد الرحمن ، والجندي شعبان سعيد زكريا والجندي دانيال سمنيتس ـ فقد صدر الامر بتبرئتهم •

هذه الاحكام الخفيفة [٢٩] التي صدرت ضد القتلة ـ فاجأت اغلبية الجمهور العربي في البلاد ، الذي كان ينتظر انتهاء المحاكمة باتنباه شديد ، فهذه المعاملة المتسامحة التي حظي بها المذنبون اثارت مخاوف عميقة في نفوس كثيرين من العرب في البلاد ، بان تتكرر مثل هذه الحوادث في المستقبل .

كذلك فاجأ هذا العقاب الخفيف قسما من السكان اليهود في البلاد فاظهر كثيرون منهم دلائل المرارة .

لكن ، بالاضافة الى هذا ، وجدت ايضا جهات اخرى اعتقدت غير ذلك . فبالنسبة الى هذه الجهات كان تقديم القتلة للمحاكمة ، او حتى مجرد اعتقالهم ، ظلما شديدا . وكانت حجة هذه الجهات هي ان هؤلاء القتلة قد قاموا ، بما فعلوه ، بواجبهم القومي . وهكذا بدأت هذه الجهات بشن حملة واسعة تقودها الصحيفتان « المعتدلتان » المعروفتان « بودهما » للعرب : صحيفة «حيروت» وصحيفة« يديعوت احرونوت » ـ اللتان طالبتا باصدار العفو عن القتلة والغاء العقاب الذي صدر ضدهم .

---

(٢٩) يكفي ان نعلم ان قتل شخص واحد مع سبق الاصرار ، يحكم على مرتكبه في اسرائيل بالسجن المؤبد ـ ولذلك كان محيرا الحكم على من قتل عشرات الناس ، بالسجن لعدة سنوات فقط . (المترجم) .

وبعد صدور الحكم قدّم في الحال استئناف ضده الى المحكمة العسكرية العليا للاستئناف ، وقد وجدت هذه المحكمة ان الحكم الذي صدر ضد القتلة كان « قاسيا » جدا ومن الواجب تخفيفه ، واصدرت حكمها حسب هذا الاعتبار . وهكذا خفض الحكم ضد ملينكي الى (١٤) سنة، وضد دهان الى (١٠) سنوات وضد عوفر الى (٩) سنوات، وهنا جاء دور رئيس اركان الجيش فخفض الحكم ضد ملينكي الى (١٠) سنوات ، والحكم ضد دهان الى (٨) سنوات ، والحكم ضد بقية القتلة الى (٤) سنوات .

بعد ذلك اتخذ رئيس الدولة موقفا نموذجيا ومثيرا للتفكير . فقد وجد الرئيس انه من العدل ، بعد كل التخفيضات المذكورة ، ان يخفف هو ايضا عن القتلة . ومن اجل ذلك منح الرئيس عفوا (جزئيا) لملينكي ودهان وخفض الاحكام ضدهما الى (٥) سنوات لكل واحد .

غير ان العفو الذي اصدره رئيس الدولة لم يكن النقطة الاخيرة في سلسلة تخفيفات العقاب ، التي تبرعت بها السلطات الحاكمة على اختلاف انواعها . فقد تبرعت « لجنة اطلاق سراح المسجونين » بحصتها هي الاخرى وامرت بتخفيض الثلث من مدة السجن لكل واحد من المحكوم عليهم . وهكذا اطلق سراح اخر واحد منهم في بداية سنة

١٩٦٠ ــ اي بعد حوالي ثلاث سنوات ونصف فقط من حدوث المذبحة •

زيادة على هذا كله ، فان بلدية الرملة اعلنت في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ ، انها قبلت جبرائيل دهان ، الذي أدين بقتل (٤٣) عربيا خلال ساعة واحدة ، للعمل فيها برتبة : « المسؤول عن شؤون العرب في المدينة » !

غير ان قضية كفر قاسم لم تنته بهذا • فقد اثار دور اللواء يشسخار شدمي في هذه المذبحة اهتماما خاصا ــ لانه الشخص الذي وضعت تحت قيادته وحدة ملينكي (وغيره) في تلك الليلة • غير ان شدمي لم يقدم للمحاكمة مع الشرطيّين [٣٠] الذين قاموا بالمذبحة ، وعرفت تفاصيل دوره في القضية بعد صدور احكام المحكمة المركزية، فقط • ففي اثناء المحكمة ثار الرأي العام بخصوص جمل قالها شدمي لمرؤوسيه ساعة ان اعلمهم بفرض منع التجول في قرى المثلث ، ومنها جوابه لمن سأله عن مصير العائدين من اعمالهم الى القرية ، حيث قال : « بدون عواطف » و « الله يرحمهم » • وقد قالت المحكمة في قرارها بصورة لا تحتمل

---

(٣٠) يعتبر رجال حرس الحدود، في اسرائيل، رجال شرطة، وكان جميع مجرمي مذبحة كفر قاسم من رجال حرس الحدود . (المترجم) .

التأويل ان شدمي هو المسؤول الاول عما حدث ؛ وذلك بتعليماته المفصّلة التي اصدرها لمرؤوسيه .

وبعد نشر القرار طالبت جهات مختلفة من الجمهور بتقديم شدمي للمحاكمة. وخلال فترة طويلة دارت في الدولة معركة بين معسكرين : احدهما يصر بحزم على تقديم شدمي للمحاكمة ، والثاني يعارض ذلك . ولقد كان مهما بصورة خاصة دور صحيفة « لمرحاف » الناطقة باسم حزب « احدوت هاعفودا » ، اي الحزب الذي يتبعه شدمي . ففي عددها الصادر في ١٩٥٨/١٠/٢٤ كتب « أسير عبري » ، وهو الاسم المستعار لنائب الكنيست موشيه كرمل [٣١] كتب يقول:

« لا نستطيع ان نمتنع عن السؤال ، ولا نستطيع ان نخشى من البحث عما اذا كانت المسؤولية النهائية والعليا ، ملقاة حقا على اللواء شدمي ، وعليه وحده . ان لواء يقود كتيبة في جيش الدفاع الاسرائيلي ، وملقاة عليه مهمة الاشراف على منطقة عمليات. لا يتصرف بالتالي حسب رأيه الشخصي . وانما هو مقيّد باطار خطط واوامر وتوجيهات تصاغ في مكان ما ، وتفرضها عليه سلطات

(٣١) موشيه كرمل هو الآن وزير المواصلات الاسرائيلي من قبل حزب احدوت هاعفودا . (المترجم) .

قيادية اعلى منه . وبما ان المحكمة قد كشفت عن الامور للجمهور الواسع ـ فان الجمهور سيطلب، وبحق ، ان يعرف ماذا كانت الاوامر والتوجيهات التي صدرت للواء شدمي من قبل المسؤولين عنه ، والتي بحسبها تصرّف وبحسبها اصدر اوامر فرعية اكثر تفصيلا ، حسب الظروف التي رآها وفي المجال الذي اختبره، وممّن تلقى اوامره ايضا.

« واذا وجد حقا ان الاوامر التي اصدرها اللواء شدمي ، سواء خطيا ام شفهيا ، كانت سببا للاحداث المأساوية التي حدثت ـ فانه لا مفرّ من السؤال :

هل كانت هذه الاوامر **متناقضة** (التأكيد في الاصل) مع الاوامر التي تلقّاها أم **متلائمة** (التأكيد في الاصل) معها ؟ لا مفر من عرض القضية على هذه الصورة » [٣٢] .

واخيرا قدم شدمي للمحاكمة امام محكمة عسكرية

---

(٣٢) عند نشر هذا المقال اعتبره البعض تحذيرا لحزب الماباي ، من انه في حالة القاء عبء المسؤولية كلها على شدمي الذي هو عضو حزب أحدوت هاعفودا ـ فانه سيكشف النقاب عن الاوامر التي تلقاها شدمي من قائده المباشر ، وهو في هذه الحالة الفريق تزفي تسور عضو الماباي ، ورئيس اركان الجيش فيما بعد . (المترجم) .

اخرى ؛ عيّن اعضاءها رئيس اركان الجيش ، وذلك لان رئيس المحكمة السابقة ، القاضي دكتور ب. هليفي ، رئيس المحكمة المركزية في القدس (الآن قاض في المحكمة العليا) أعلن عن نفسه انه « غير ملائم » لرئاسة المحكمة الثانية ، وذلك على اثر القرار الذي اصدره في قضية كفر قاسم والذي اعتبره المقرّرون في وزارة الدفاع قرارا « قاتلا » . ولقد قامت المحكمة الثانية بمحاكمة شدمي بصورة سريعة ووجدته مذنبا في خطأ « تكني فقط » وقضت ... بتوبيخه وبتغريمه بقرش اسرائيلي واحد !

خطأ تكني فقط . هكذا يعرّف قضاة المحكمة العسكرية اوامر شدمي لمرؤوسيه بأن يطلقوا النار على كل انسان يوجد خارج بيته بعد ابتداء منع التجول . هذا هو ، كما يبدو ، التعريف الملائم لتلك الكلمات التي قالها شدمي لمرؤوسيه بخصوص العائدين من عملهم : « بدون عواطف » و « الله يرحمهم » ، مرفقا ذلك بحركة ملائمة من يده .

ويجدر بالذكر ان المحكمة المركزية لجيش الدفاع الاسرائيلي [٣٣] وجدت من الملائم ان تقول بخصوص ذلك

---

(٣٣) المحكمة **الاولى** برئاسة القاضي دكتور ب. هليفي . (المترجم) .

الخطأ « التكني » : ما يلي [٣٤] :

« وفي بقية كلامه اصدر قائد الكتيبة (شدمي) امره لقائد الوحدة (ملينكي) بأن منع التجول يجب ان يكون حازما جدا وان يحافظ عليه بيد قوية ، لا بواسطة اعتقال المخالفين وانما باطلاق النار • واضاف موضحا له : « من الافضل قتيل واحد (وحسب شهادة اخرى : « من الافضل عدة قتلى ») بدلا من تعقيدات الاعتقالات •• » •

وفي الصفحة (٢٠٨) من القرار قالت المحكمة :

« ••• ان المتهم ملينكي ، حين اصدر مجموعة الاوامر لوحدته ، لم يتصرف حسب مبادرته الشخصية او حسب رأيه الشخصي ـ وانما اطاع أمرا تلقّاه • فهو لم يكن المبادر في فرض منع التجول ـ لا من حيث نوعيته ولا من حيث اسلوب تطبيقه ـ وانما نقل الامر الذي ألقاه عليه قائده المسؤول ، اللواء شدمي ••• وليس هنالك شك في ان الامر الذي اصدره ملينكي ••• لم يكن سوى حلقة في سلسلة الاوامر الثابتة التي اصدرها قائد الكتيبة (شدمي ـ المترجم) الذي فرض منع التجول حتى اخر عملياته • ان مجموعة الاوامر التي اصدرها ملينكي كانت نتيجة مباشرة،

---

(٣٤) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (١٠٠) •

لوضع وحدة حرس الحدود تحت سلطة كتيبة جيش الدفاع الاسرائيلي التي يرأسها اللواء شدمي ، ولتقرير مهمة تلك الوحدة حسب ارادة قائد الكتيبة (شدمي ــ المترجم) وبأمره المباشر الذي اصدره فيما يتعلق باهداف منع التجول وطريقة تنفيذه .

« ان ملينكي لم يتلق من شدمي « المهمة » فقط، وانما « الاسلوب » لتطبيق منع التجول ايضا . فلقد حدّد اسلوب منع التجول ، كما قرره قائد الكتيبة . بانه اسلوب « اليد القوية » و « السياسة الحازمة » ، اسلوب المحافظة على منع التجول بواسطة اطلاق النار وبدون اعتقالات . اننا مقتنعون بأن بند « الاسلوب » .. الذي أعدّه ملينكي : قبل الحوادث الدموية في كفر قاسم ، كخلاصة لأمر قائد الكتيبة ولاجل ادراجه في الاوامر الصادرة للكتيبة للتنفيذ (« لا يسمح لاي ساكن بترك بيته في ساعة منع التجول . كل من يغادر بيته يقتل، ولن تكون هناك اعتقالات») ــ انما هو انعكاس للأمر الذي اصدره قائد الكتيبة ... لم يكن هنالك سوء فهم من جانب ملينكي فيما يتعلق باسلوب تطبيق منع التجول كما قرره قائد الكتيبة . كما ان التمييز القاسي في الامر الذي اصدره قائد الوحدة (ملينكي ــ المترجم) ، بين السكان الموجودين في البيوت والذين يجب عدم الحاق الأذى بهم ، وبين الاشخاص الموجودين خارج البيت والذين

ينطبق عليهم مبدأ اطلاق النار بكل صرامة ـ ينبع من الامر الذي اصدره قائد الكتيبة (شدمي ـ المترجم) • ان قول قائد الوحدة (ملينكي ـ المترجم) بانه « من الافضل ان يكون عدة قتلى » . ينبع بصورة مباشرة من قول قائد الكتيبة (شدمي ـ المترجم) بانه : « من الافضل الخلاص من البعض . هكذا » (مرفقا ذلك بحركة من يده كما وصفها ملينكي) بدلا من تعقيدات الاعتقالات••• ان استنتاجنا هو ان اسلوب تطبيق منع التجول كما قرره ملينكي في مجموعة الاوامر (قبل الاسئلةوالاجوبة) كان متطابقا في كل الجوانب الهامة مع اسلوب تطبيق منع التجول الذي قرّر في الامر الصادر عن قائد الكتيبة (شدمي ـ المترجم) • ان اللواء شدمي هو الذي بادر وأمر ، بصورة ملزمة : بتطبيق التعليمات غير القانونية •• والتي تنص على اطلاق النار على مواطنين كوسيلة عامة للمحافظة على منع التجول • وملينكي بخضوعه لأوامر قائده انما نقل هذه التعليمات الى مرؤوسيه »[٣٥] •

بقي لنا فقط ان نسأل : كيف نطابق بين المتناقضات في استنتاجات المحكمتين ؟

حقا ، ان شدمي وملينكي وبقية رجال حرس الحدود

---

٣٥) قرار المحكمة المركزية (١٧) ص (٢٠٨) .

الذين اشتركوا في مذبحة كفر قاسم ليسوا المسؤولين الرئيسيين عن تلك المذبحة . ان قائدا عسكريا ، حتى ولو كان برتبة لفتنانت جنرال ، يسيطر على قواه العقلية (ولم يبرهن ولم يدّع أحد ان العكس هو الصحيح بالنسبة لشدمي) لا يمكن ان يصدر اوامر واضحة لا تحتمل التأويل كهذه ، اعتمادا على تقديره الخاص ، كما فعل شدمي ، للقيام بعملية قتل جماهيرية مع سبق الاصرار ، لقد صدقت صحيفة « لمرحاف » حين حذرت ، محاولة الدفاع عن عضو حزبها (شدمي ـ المترجم) ، قائلة : بان كشف النقاب عن امور اخرى في قضية كفر قاسم من شأنه ان يورّط « رجالات اخرين ذوي مكانات عالية » (في وزارة الدفاع ، بالطبع) .

ويجدر بالذكر انه من بداية قضية كفر قاسم ـ ابتداء باعمال القتل نفسها وانتهاء بالعفو عن القتلة وتخفيض مدد سجنهم واطلاق سراحهم ـ برز بصورة خاصة ، الموقف اللامبالي الذي اتخذته بعض الجهات الشعبية ذات التأثير تجاه هذه القضية، مع ان جهات صغيرة مثل منظمة «ايحود» (٣٦)

---

(٣٦) ايحود : هي مجموعة من اساتذة الجامعات غالبا . كان يراسها البروفسور الفيلسوف مارتين بوبر حتى وفاته في١٩٦٥ ويراسها الان البروفسور سيمون. (المترجم).

و « القوة الثالثة »[٣٧] اتخذت موقفا جديرا بالتقدير . ففي تعبيره عن قرفه من موقف مثل هـذه الجهات كتب بوعز عفرون[٣٨] يقول :

« الآن . بعد ان حققت غريزة الرحمة كل ما تشتهيه . وبعد ان أطلق او يوشك ان يطلق سراح القتلة . وبعد ان دفعت تعويضات او رشوات[٣٩] لاقارب القتلى ــ بعد هذا كله حان الوقت لاجراء حساب للنفس قليل : هذا اذا كانت ما تزال هنالك نفس لتحاسب بعد كل هذه الحسابات .

« اننا لم نشعر بهذا الامر ، لكننا خـلال السنوات الثلاث الاخيرة ومنذ الجريمة ، ونحن في امتحان . لقـد وضعت استقامتنا وانسانيتنا وشجاعتنا في امتحان ولكننـا فشلنا في اجتيازه ...

(٣٧) القوة الثالثة : جماعة صغيرة من المثقفين برئاسة المحامي الدكتور شتين . (المترجم) .
(٣٨) بوعز عفرون : واحد من ابرز الكتـاب التقدميين في اسرائيل . احد محرري مجلة « اتجار » (ومعناهـ . تحدي) نصف الشهرية ، والمحرر الادبي حاليـا في صحيفة « يديعوت ـ احرونوت » اليومية المسائية . (المترجم) .
(٣٩) يشير الكاتب الى ما دفعته السلطات من مال لرؤساء العائلات التي سقط ابناؤها ضحايا في المذبحة ، لشراء صمتهم . (المترجم) .

« ولنبدأ باحصاء المذنبين الرئيسيين ؛ اولئك الذين يلزمهم ادّعاؤهم بانهم قيادة روحية واخلاقية ، ان يكافحوا ، ولم يكافحوا ــ وانما مدّوا ايديهم احيانا للمشاركة في القذارة .

« ان المذنب الاول هو الصحافة . فباستثناء صحيفتين او ثلاث صحف من الشواذ ، اتفقت الصحافة على مؤامرة صمت والقت ستارا على الجريمة . فبدلا من الكتابة عن قتلة كتبت عن محكوم عليهم . وبدلا من الكتابة عن القتل والجريمة في كفر قاسم ، كتبت عن « مصيبة » وعن «خطيئة» وعن « الحادث المؤسف » . وحين كتبت هذه الصحف عن ضحايا المصيبة لم يعد واضحا عمّن تتحدث : عن القتلى أم عن القتلة. وحين صدر قرار الحكم بدأت حملة انيقة وجبانة ضد القاضي الذي تمزّق الآن قرار الحكم الذي اصدره وكأنه قطعة من الورق . وهكذا غطي ذلك اليوم المزعزع بجبال ملائمة من مواعظ التهرّب . ودعني أقل لك : في كل مرة تواجه فيها كلمات بلا لون ، كلمات محايدة ومتحفظة ــ اعلم ان شيئا مخيفا يستتر خلفها .

« واما المذنب الثاني فهو القيادة الدينية ، اي

الربّانوت (٤٠) والاوساط الدينية في البلاد . هؤلاء الذين يطلبون سلطة لكي « يسيطر الخلق اليهودي » و « روح جدنا اسرائيل » ، هؤلاء الذين يلوحون بكتب جاء فيها : « لا تقتل » و « اعمال يدي تغرق في البحر وانتم تغنون » و « كل من يقتل نفسا كأنه فقد العالم كله » — هؤلاء صمتوا بلا مبالاة كاملة . حتى ولا شخصية دينية واحدة هبّت لتنقذ شرف الديانة اليهودية ولتعبر عن انتفاضة اخلاقية وغضب على المحاكمة . فهل هذا هو « النور الذي في اليهودية » ؟

« اما المذنب الثالث فهو القيادة الاكاديمية . فحين نودي لاجراء انتخابات اقليمية (اي حسب المناطق) وجد عشرات من الاكاديميين وقعوا على النداء . لكنه باستثناء قليل من « المجانين » لم يوجد تقريبا بروفسور او محاضر واحد يصرخ : « هذا قتل ! » . صحيح ان الصراخ ليس أمرا جامعيا ولا اكاديميا ، وليس دليلا على الجمال والادب. لكن هنالك اساتذة في السوربون اضربوا احتجاجا على القتل في الجزائر . وهناك اكاديميون انجليز ساروا في

---

(٤٠) الربانوت : اعلى سلطة دينية عند اليهود في اسرائيل ؛ ويراسها اثنان : الرابي (الرئيس الروحي) للطوائف الغربية والرابي للطوائف الشرقية ، وكل منهما بمثابة المفتي عند الطوائف الاسلامية . (المترجم) .

مظاهرات ضد التجارب الذرية وصرخوا ضــد المجازر في كينيه ..

« اما المذنب الرابع فهو : القيادة الادبية ــ الفنية . فمنظمة الادباء التي عرفت دائما ان « تحتج بكل شدة » وان « تتوجه الى ضمير العالم المستنير » ــ هذه المنظمة صمتت وما زالت صامتة وستصمت . ففي هذه الايام حين وصلت الامور الى بيتها ، نراها نشيطة فيما يتعلق بشؤون اجــرة الكتّاب ، وسنوات الخدمة،وتوزيع الكراسي والاحترامات. أما حين يطلب منها ان تقوم بواجب روحاني ، وحين يجب ان تعمل كمنظمة ادباء لا كمنظمة مهنية ، وحين يجب ان ترفع رأسها في وجه السلطة وتطالب بما يطالب به الضمير ، دون تسامح ــ فانها فجأة لا وجود لها ...

« وماذا عن الاحزاب التي كانت تجلس طوال ذلــك الوقت كله في الحكم ملوّحة بشعارات السلام والعدل واخوة الشعوب ؟ اين كان الثوريون [٤١] ؟.. واين كنــا نحن ،

(٤١) لعل الكاتب يعني بالذات حزبي : « المابام » و « احدوت هاعفودا » اللذين يدعيان انهما حزبان اشتراكيــان ، خاصة اولهما الذي يدعى انه حزب اشتراكي ثوري . وكان هذان الحزبان شريكين في الحكومة عشية حملة سيناء ومذبحة كفر قاسم . (المترجم) .

المواطنين البسطاء . الذين أحسسنا بالقرف والاحتقار، ونحن نشاهد رقصة الجن التي قيل لنا انها تعبر عن « الصدمة » التي اصابت الجمهور ؛ ثم ونحن نشاهد تسوية الجريمة بعقاب : كما قيل لنا ؟ لماذا صمتنا ؟

« اذا كنت لا تكافح من اجل مبدئك الخلقي . فانت رغما عنك ستتقبل المبدأ الخلقي الذي يؤمن به اولئك الذين يتسترون على اعمال القتل بسواعظ دبلوماسية، انك عندها ستتقبل المبدأ الخلقي للديماجوجيين ورجال الدعاية الملسين الذين لا مبادىء لهم ، والموظفين الكبار الذين بلا جذور ـ مبادىء كل تلك القسة الحاكمة الجديدة التي لا مثل لها ولا مبادىء والتي تعكر صفاء الهواء .. » (٤٢) .

ان عرب اسرائيل يخلدون كل سنة ذكرى شهداء كفرقاسم، وذلك باجتماعات واضرابات ومظاهرات وبالاعلان عن الحداد في كثير من القرى العربية . ولقد جرت هذه الاعمال دائما الى اصطدامات مع الشرطة ولتقديم المشتركين فيها الى محاكمات عسكرية . وفي السنوات الثلاث الاخيرة اخذ الحكم العسكري يغلق قرية كفر قاسم في يوم الذكرى . وذلك لمنع دخول ابناء القرى الاخرى ممن يرغبون في

---

(٤٢) مجلة (نير) عدد آب ـ تشرين الاول (اوغسطس ـ اكتوبر) ١٩٥٩ .

الاشتراك في احياء الذكرى التي تقـام سنويـا في مقبرة الشهداء [٤٣] .

(٤٣) التهمة التي توجه لمن يعتقلون او يمنعون من دخـول كفر قاسم في يوم الذكرى (١٩٥٦/١٠/٢٩) هي انهم اعضاء في حركة « الارض » . (المترجم) .

القسم الرابع

غرباء في وطنهم

تغيرات في حياة العرب في البلاد

يسود اوساط السكان اليهود في اسرائيل رأي يقول بان عرب اسرائيل قد تقدموا تقدما كبيرا في كل نواحي الحياة ، منذ قيام الدولة حتى اليوم . كما ان الناطقين الرسميين باسم المؤسسات الحكومية لا يكفون عن الحديث، في كل مناسبة ومكان ، عن التقدم والتطور اللذين حظي بهما السكان العرب منذ تأسيس الدولة . ولقد وصل هذا الادعاء الى حد ان الكتاب السنوي للحكومة يتباهى بأن «الحكومة قامت باعمال تطوير (بين عرب اسرائيل) بصورة لم يسبق لها مثيل .. في اية دولة عربية قائمة اليوم»[١] . ولسنا نريد هنا ان نفحص مدى صحة هذه الاراء والادعاءات ، كما اننا لا نريد في هذا الكتاب ان نقارن بين برامج التطوير في اسرائيل والدول العربية المختلفة ، لكن مما لا شك فيه ان

(١) كتاب الحكومة السنوي ١٩٦٢ ، ص (٢٢) .

الادعاءات المذكورة مبالغ فيها .

في الوقت نفسه لا نقول انه لم تحدث تطورات مختلفة في الوسط العربي في اسرائيل ، غير انه يجب الا يقال بأن كل هذه التطورات حدثت بفضل دولة اسرائيل . فلقد حدثت هذه التغييرات نتيجة لعوامل مختلفة تتفاعل داخل المجتمع العربي في البلاد ، وليس بسبب قيام دولة اسرائيل كما يدعي ممثلو السلطات المختلفون . فالواقع يرينا انه في بعض المجالات الهامة المتعلقة بحياة عرب اسرائيل ، حدثت تطورات طيبة رغم الموقف السلبي الذي اتخذته السلطات منها . وهو ما سنوضحه فيما بعد ، كذلك فان اغلب هذه التطورات لم يكن مرضيا تماما . يضاف الى هذا انه يجب ان نورد في الحساب ، طبعا ، حقيقة فعل الزمن . لذلك يجب عدم المقارنة بين اسلوب ومستوى حياة هؤلاء العرب اليوم وبين ما كان عليه الوضع ، مثلا ، قبل خمسين سنة ايام الحكم التركي في البلاد ، او قبل ثلاثين او اربعين سنة ايام الحكم البريطاني الاستعماري . فطبيعة العالم هي ان يتطور .

(١)

السياسة والمجتمع

لقد غرست عقود من الرزوح تحت الحكم التركي

والبريطاني ، الغريبين والمضطّهدين ، في نفوس عرب البلاد كراهية وخوفا وخضوعا تجاه كل نظام حكم • وقد تجسم موقف السكان « باخلاصهم » للحاكم وبشكهم في كل ما يفعله نظام الحكم •

فالحكم التركي ، المضطّهد والمتخلّف ، الذي ساد البلاد (واغلبية بلاد الشرق الاوسط) طوال ٤٠٠ سنة تقريبا ـ ترك اثاره العميقة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمع الشرق الاوسط ، وفعل الكثير من اجل القضاء على الثقافة العربية التي امتدت من ثقافتهم في القرون الوسطى • وخلال هذه الفترة ، التي جرت خلالها في اوروبه اغلب الثورات الاجتماعية والسياسية والعلمية واكثرها شهرة في تاريخ الانسانية ، ظلت شعوب الشرق الاوسط في مكانها تتحرك على هيئة : « مكانك عد » ! وبعد انتهاء هذه الفترة وطرد الاتراك من المنطقة في نهاية الحرب العالمية الاولى ، كان لا يزال هنالك الكثير من الاشتراك بين حالة المجتمع العربي في البلاد وحالة المجتمع الاوروبي في بداية ايام القرون الوسطى •

مقابل ذلك ادى الحكم الانتدابي البريطاني ، بالنسبة للوضع السابق ، الى تغييرات وتحسينات معينة • فقد سنت في البلاد طريقة حكم اكثر تقدما ، وحسّنت وسائل الانتاج،

واقيمت صناعات خفيفة . وفتحت مدارس ومؤسسات ثقافية مختلفة ؛ واتسعت طبقة المثقفين ، وان لم يكن ذلك بصورة كافية . كما ان « الحصار » الذي فرضه الاتراك على البلاد الغي ، وبهذا انفتحت البلاد لتأثير التيارات والثقافات المتقدمة في العالم .

غير ان كل هذه الامور لم تكن كافية لتغيير وجه المجتمع العربي تغييرا اساسيا وشاملا . فالاقطاع والفقر والجهل كانت سائدة في المجتمع . والتعصب الديني والطائفي كان منتشرا في كل مكان ، وهكذا ظلت حياة الجماهير تدور تحت تأثير هذه الظروف بحيث نبتت اكثر القيادات السياسية والجماهيرية في المجتمع العربي من هذه الارضية الخلفية . فاكثر القادة في تلك الفترة عينتهم عائلاتهم الكبيرة او الجماهير الخاضعة لتلك العائلات من جهة اقتصادية او اوساط المتدينين المتعصبين . ولم يقم في البلاد اي حزب ايديولوجي بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة سوى، ربما ، الاحزاب الشيوعية وبضعة احزاب صغيرة اخرى لم يكن لها تأثير كبير .

ولقد أدّت اقامة اسرائيل وتثبيت الحكم اليهودي في البلاد الى زعزعات شديدة في وسط المجتمع العربي . فاكثر اعضاء القيادات التقليدية والاجتماعية ، واكثر اصحاب رؤوس الاموال ، واصحاب المهن الحرة والمثقفين أجلوا عن

البلاد . وهكذا وجدت الجماهير العربية التي بقيت في البلاد ، والتي تحوّلت بين يوم وليلة من اغلبية مسيطرة الى اقلية تعيش تحت حكم شعب اخر ــ وجدت نفسها فجأة بدون قيادة او تجربة او توجيه . ولقد استغلت السلطات الاسرائيلية هذا الوضع وبدأت تعمل بوحي منه .

كان اول المنقضّين على « الأسلاب » هو حزب المباي الحاكم ، الذي استطاع حتى في انتخابات الكنيست الاولى التي جرت في ١٩٤٩/١/٢٥ ان يشكّل قائمة عربية منفردة تابعة له ، انتخب اثنان من مرشحيها .

وحين توطد الحكم الاسرائيلي اتسعت نشاطات الحزب المذكور بين عرب اسرائيل . واصبح الحكم العسكري ، والدائرة العربية في الهستدروت واجهزة المخابرات وبقية اجهزة الحكم الخاضعة للحزب الحاكم ــ اصبحت كلها تشكل العمود الفقري لهذه النشاطات . والواقع ان سياسة المباي في اوساط العرب قد نالت نجاحا كبيرا . ففي الانتخابات للكنيست الثانية والثالثة والرابعة اشتركت ثلاث قوائم عربية مرتبطة بالمباي، وانتخب في كل من الانتخابات الثلاثة المذكورة خمسة من مرشحي القوائم الثلاث . اما في الانتخابات للكنيست الخامسة فقد انتخب اربعة نواب عرب فقط مرتبطين بالمباي .

ليس هنالك عمليا اي اساس ايديولوجي لنشاط حزب الماباي بين عرب اسرائيل ، فليس للقوائم العربية المرتبطة بهذا الحزب اي تنظيم او دستور او برنامج سياسي ما ، وانما كان الهدف من اقامة هذه القوائم هو استخدامها كأداة برلمانية وظيفتها اصطياد اصوات الناخبين العرب . ويشهد على هذا الهدف تركيب وعدد هذه القوائم (ثلاث بدلا من واحدة في البداية !) التي تعتمد كلها على القادة التقليديين في المجتمع العربي وتنمّي التمزّق الطائفي في صفوفهم . فاقامة ثلاث قوائم منفصلة ، تضم كل منها مرشحين من طوائف واوساط مختلفة ــ هدفها جذب اكبر عدد من الاصوات في الانتخابات ، حيث تتظاهر كل قائمة بانها معارضة للقائمتين الاخريين . وتمثل هذه القوائم عمليا اغلبية المنجّرين خلف الماباي من عرب اسرائيل. تحظى هذه القوائم ، في اوساط الجماهير العربية ، كما قدمنا ، بتأييد كل اجهزة الحكم الخاضعة للماباي وخاصة الحكم العسكري. ويحظى العرب الذين يؤيدون هذه القوائم بكل المنافع والخيرات الكثيرة والمختلفة التي تقدمها المكاتب الحكومية (٢)،

---

(٢) تشهد الحقائق التي نشرت بعد ان نشب خلاف بين نائب الكنيست صالح خنيفس والماباي ، وذلك حين رفض الحزب ادراجه كمرشح في احدى القوائم العربية في

(التتمة على الصفحة التالية)

واكثر هؤلاء المؤيدين الذين يعملون دون اي مبدأ ايديولوجي ينتمون الى الاوساط نفسها التي تتعاون مع نظام الحكم ـ اي نظام حكم . هذه الاوساط ايدت في حينه سلطات الانتداب البريطاني ، ثم ايدت جيش الانقاذ الذي ارسلته جامعة الدول العربية ، وحين قامت الدولة وقفت الى يمين حكام اسرائيل . كذلك فان مهمة نواب الكنيست العرب الذين انتخبوا بواسطة تلك القوائم لم تتعدّ ، باية صورة ، تأييد الماباي في الكنيست . فلقد اثبت فحص بروتوكولات

انتخابات الكنيست ١٩٥٩ ، تشهد على شمول هذه « المنافع » وماهيتها . فلقد جر هذا النزاع الى اتخاذ اعمال مضادة تجاه النائب المذكور ، كان الهدف منها تجريده من بعض « حقوقه » : ـ

« في البداية القي الحجز على ابقاره ... فقد حجزت دائرة ضريبة الدخل على (٤٠) بقرة تابعة للنائب خنيفس ، وذلك بعد ان كان قد استطاع تأجيل دفع الضريبة البالغة ١٥ الف ليرة .. « وقبل ان يصحو نائب الكنيست خنيفس من صدمة الحجز ، انقضت على رأسه ضربة اخرى . فمنذ سنوات والنائب خنيفس يحتفظ بعدة قطع من السلاح ، ويحتوي « مستودعه الحربي » على : مدفع رشاش برن ، عدة مدافع نصف اوتوماتيكية وعدة بنادق . . وقد تقاعس في السنة الاخيرة عن تجديد الترخيص بحمل هذه الاسلحة . وفجأة جاءت الى قريته ، شفا عمرو ، مجموعة من رجال الشرطة وصادرت الاسلحة » (صحيفة معاريف ٧/١٠/١٩٥٩) .

الكنيست ان نشاط « نواب الشعب » هؤلاء في الكنيست اقتصر على القاء بضعة خطب قبل تقديم كل حكومة جديدة. او خلال النقاش حول الميزانية . واكثرها خطب ملأى بالمديح والتملق للحكومات المختلفة • ويذكر الجمهور بالطبع النقاشين الحاسمين حول الحكم العسكري اللذين حظي فيهما الحكم العسكري بالبقاء نتيجة لتأييد قسم من اعضاء الكنيست العرب هؤلاء لبقاء هذا الجهاز .

من جهة اخرى يستعين الماباي في نشاطه بالجريدة اليومية الوحيدة بالعربية « اليوم » . التي تصدرها باستمرار منذ ١٩٤٨ « شركة اليوم » [٣] (في منتصف ١٩٦٠ اصبحت الدائرة العربية في الهستدروت شريكة في ادارة الجريدة وتحريرها) . هذه الجريدة التي وصل توزيعها اخيرا الى ٥٠٠٠ نسخة [٤] ، منها (٢٠٠٠) نسخة لمشتركين دائمين

---

* جاء ذكر هذه الحادثة في الجزء الاول من هذا الكتاب . ص ١٠ . (الناشر) .

(٣) اقيمت هذه الشركة خصيصا لاصدار هذه الجريدة بتمويل حكومي خفي . (المترجم) .

(٤) « مجموعة اخبار عن اعمار الهستدروت في الوسط العربي » نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٦٢ ، ص (١) . لكن رئيس الحكومة قال ردا على استجواب وجه اليه في الكنيست انه « تباع ٣٢٠٠ نسخة من الجريدة كل يوم ؛

(التتمة على الصفحة التالية)

اكثرهم معلمون وموظفو حكومة عرب ، تخصم رسوم اشتراكهم من مرتباتهم مباشرة ـ تحظى بمساعدة حكومية ثابتة (٥) . ولقد فاقت المعونة الحكومية التي قدمت لهذه الجريدة اخيرا ، المعونة التي قدمتها الحكومة للاذاعة العربية في « صوت اسرائيل » . ورغم هذه المساعدة التي تحظى بها هذه الجريدة من الحكومة ، فانها (الجريدة) تعتبر ناطقا باسم حزب الماباي ، وتهاجم ، حين يقتضي الامر ذلك ، بقية الاحزاب الشريكة للماباي في الحكومة .

الا في يوم الجمعة حيث تباع (٤٢٠٠) نسخة» (بروتوكول الكنيست) مجلد (٣٤) ص(٢٧٦١) بتاريخ١٨/٧/١٩٦٢ .
؛ يزداد توزيع هذه الجريدة يوم الجمعة بسبب مضاعفة عدد صفحاتها من (٤) الى (٨) بما في ذلك صفحتان مكرستان للادب ، وصفحة للسياسة ، وصفحة للتسلية. كذلك يعود العمال العرب الى قراهم في هذا اليوم من اعمالهم في المدن اليهودية مما يزيد من عدد القراء في هذا اليوم) . (المترجم) .

(٥) يمكن ان نجد تفاصيل عن تمويل هذه الجريدة في السنوات الخمس الاخيرة في تقرير مراقب الدولة رقم (١٥) ٢/٢/١٩٦٥ في الصفحات ١٠٧ ـ ١٠٨ ، حيث يقول المراقب :

« في نهاية شهر يوليو ١٩٦٠ وضعت مسودة اتفاقية بخصوص اصدار الجريدة وادارتها بين الحكومة و «شركة اليوم » والهستدروت التي يمثلها « صندوق العمال

(التتمة على الصفحة التالية)

غير ان الماباي ليس الحزب الوحيد النشيط في اوساط عرب البلاد ، ففي الانتخابات للكنيست الثانية ظهر في الحلبة حزب « الصهيونيون العموميون » الذين ساروا في طريق الماباي دون اي مبدأ ايديولوجي ، فقد استغل هذا الحزب سياسة الحكومة التي اضرت ببعض الاقطاعيين العرب القلائل الذين بقوا في البلاد وبعض اصحاب رؤوس الاموال العرب ، ونجح في ان يجمع حوله فئة معينة وان يقيم قائمة مرتبطة به خاضت معركة الانتخابات في ١٩٥١ . غير ان احدا من مرشحي هذه القائمة لم ينتخب، ولقد كرر « الصهيونيون

والفلاحين م.ض » . وقد تقرر ان نشر الجريدة وتوزيعها وكذلك الديون والعجز في ميزانيتها يقع على عاتق الشركة والصندوق . وتغطي الحكومة نصف العجز السنوي بشرط الا يزيد ذلك عن (١٢٠) الف ليرة سنويا . وحددت فترة الاتفاقية بثلاث سنوات . وقد دخل هذا الاتفاق حيز التنفيذ رغم انه لم يوقع . وفي نوفمبر ١٩٦٣ . في جلسة اشترك فيها ممثلو مكتب رئيس الحكومة ووزارة المالية والهستدروت ، قررت وسائل جديدة ونهائية لتغطية العجز في ميزان الجريدة للسنوات ٦٣/١٩٦٤ ، و ٦٤/١٩٦٥ . وقد اتفق على ان مكتب رئيس الحكومة يتحمل ثلثي العجز الذي قدر ب(١٢٠) الف ليرة للسنة ٦٣/١٩٦٤ و (١٣٠) الف ليرة للسنة ٦٤/١٩٦٥ . اما الهستدروت فيتحمل الثلث الباقي . اما العجز الذي تراكم من السنوات السابقة والذي يبلغ (٦٠٠) الف ليرة فيقسم بالتساوي بين مكتب رئيس الحكومة وبين الهستدروت » .

العموميون » هذه التجربة فيانتخابات ١٩٥٥ ، غير انهم هذه المرة ايضا لم يحظوا بنجاح •

وحين توحّد « الصهيونيون العموميون » مع حزب « البروجروسيفيم » (اي : التقدميين) في ١٩٦٠ واقام الاثنان الحزب الليبرالي تقلص نشاط الحزب الجديد ، الى حد بعيد ، في الوسط العربي ، والمرشح العربي الذي ادرج ضمن قائمة الحزب لانتخابات الكنيست الخامسة لم ينتخب (٦) •

كذلك كان حزب « احدوت هاعفودا » احد الاحزاب الصهيونية التي دخلت « المعمعة » في الوسط العربي فيالبلاد دون اية قاعدة ايديولوجية • فبعد سنوات من انفصال هذا الحزب عن حزب المابام ، لم يقم بأي عمل سياسي فيما يتعلق بالعرب • لكن في ١٩٥٨ ، قبل الانتخابات للكنيست الرابعة، حين كان ممثل « احدوت هاعفودا » وزيرا للداخلية ، شن هذا الحزب غارة لا مثيل لها على اصوات الناخبين العرب • فقد بدأت وزارة الداخلية تعمل كمن اصابتها الحمى ، ورغم

(٦) كان هذا المرشح هو : ع. ناطور ، من قرية قلنسوة. وكان يومها طالبا في كلية الحقوق في الجامعة العبرية . وقد ادرج اسمه في مكان ناء في القائمة ، جعل انتخابه مستحيلا منذ البداية . (المترجم) .

معارضة الحكم العسكري ، من اجل اقامة « حزب العمل العربي » [٧] المرتبط « بأحدوت هاعفودا » . كذلك اصدر الحزب الجديد جريدةاسبوعية باللغة العربية باسم: «العمل» (اغلقت فيما بعد) . كما خاض هـذا الحزب انتخابات الكنيست الرابعة في قائمة منفردة عن الحزب الام (احدوت هاعفودا) . غير ان احدا من مرشحي القائمة لم ينتخب .

اما الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، فانه في الواقع الحزب الوحيد الذي يعمل بين العرب في البلاد على اساس ايديولوجي . فهذا الحزب الذي يتمتع بميزة اولية وهي انه الحزب الوحيد الذي يضم نسبة كبيرة من العرب بين اعضائه، عمل بصورة قانونية منذ قيام الدولة واستمر في نشاطه بصورة متواصلة حتى هذا اليوم . ويستعين هذا الحزب في نشاطاته السياسية بفروعه الموجودة في كل القرى والمدن العربية ، وبسلسلة واسعة . نسبيا ، من الصحف الحزبية بينها صحيفة

---

(٧) كان يقف على راس هذا الحزب حتى موته (اي: الحزب) بعد انتخابات ١٩٥٨ السيد سليم خليل من قرية الطيبة في المثلث ، الذياصبح عضوا في الكنيستبين ١٩٦٣- ١٩٦٥ ، بعد ان تنازل له احد النواب اليهود في الحزب عن مكانه في الكنيست ترضية له عن جهوده . امـا في انتخابات ١٩٦٥ فلم ينتخب ولم يتنازل له احـد عـن مقعده . (المترجم) .

« الاتحاد » نصف الاسبوعية ، والمجلة الشهرية الادبية ــ السياسية « الجديد » ، والمجلة الشهرية للشبيبة « الغد » ، والمجلة الايديولوجية للحزب « الدرب » .

لقد لعب الحزب الشيوعي الاسرائيلي دورا فريدا في نوعه في التاريخ السياسي لعرب اسرائيل . فباتخاذ هــذا الحزب جانب المعارضة ، بعد وقت قصير من قيام الدولة ، اصبح المدافع الرئيسي عن حقوق العرب في البلاد . فلقد استولى الحزب الشيوعي على زمام المبادرة فيما يتعلق بكل النشاطات السياسية والاجتماعية التي ابدتها المعارضةالعربية المحلية تجاه سياسة الاضطهاد التي اتبعتها حكومات اسرائيل المختلفة تجاه العرب ــ خاصة في فترة ثلاث او اربع سنوات الفوضى التي سادت المجتمع العربي بعد قيــام الدولة . ولقد استعان الحزب ايضا باوساط عربية مختلفة اضطرت لعدم وجود سبيل اخر وبقصد مجابهة مؤامرات السلطات للتعاون مع هذا الحزب ، غير ان حصة الاسد من هــذا النشاط نظّمتها ونفذتها مؤسسات هذا الحزب الخاصة . كما ان صحف الحزب الشيوعي ، خاصة الناطقة باللغة العربية ، تعبر بصدق عن مشاكل عرب اسرائيل ونضالهم منذ قيــام اسرائيل .

هذا الموقف الذي اتخذه الحزب الشيوعي الاسرائيلي

أدى الى زيادة التأييد له في وسط الجماهير العربية . فلقد تكاثر بين العرب عدد مؤيدي هذا الحزب والمتعاونين معه (وليس عدد اعضائه بصورة خاصة) تكاثرا كبيرا ، بينما حصر معارضوه : تدريجيا ، في زاوية ضيقة . ولقد ازداد تأثير هذا الحزب في اوساط المجتمع العربي بصورة متواصلة الى درجة انه في سنة ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ اصبح الحزب الشيوعي الناطق باسم عرب اسرائيل امام الرأي العام . وفي هذه الفترة ألصق بكل عربي رفض الخنوع لنظام الحكم لقب : « شيوعي » . غير انه مما لا شك فيه ان الحزب الشيوعي وصل اعلى مراتب تأثيره بين العرب في اسرائيل في ١٩٥٨ ــ ذلك لانه في تلك الفترة أيدت الشيوعية الدولية تأييدا كاملا الحركة القومية العربية التي انتصبت حينها لتكافح الاستعمار الغربي واجراءه في الشرق الاوسط ، وخاصة بعد اقامة الجمهورية العربية المتحدة (وحدة سورية ومصر) . ففي تلك الفترة رفع الحزب الشيوعي الاسرائيلي اغلب شعارات الحركة القومية العربية (بما في ذلك شعار « حق تقرير المصير لعرب اسرائيل حتى الانفصال ») .

في هذه الفترة ايضا اقام الحزب الشيوعي الاسرائيلي وقادة عرب مختلفون « الجبهة العربية » التي غيّر اسمه

فيما بعد الى « الجبهة الشعبية » [٨] . هذه المنظمة ، التي اعلن عن تأسيسها رسميا في الناصرة وعكا في وقت واحد في تموز (يوليو) ١٩٥٨ ، والتي اقيمت لها بعد ذلك فروع ، خلال فترة قصيرة جدا ، في اكثر المراكز العربية ــ كان الهدف منها جعلها هيئة عليا للشيوعيين ولبقية الاوساط العربية المختلفة ، مهمتها تنسيق اعمال الدفاع عن حقوق العرب والاهتمام بشؤونهم المختلفة .

كانت اقامة الجبهة بمثابة موافقة شعبية على ان الحزب الشيوعي هو اكثر الاحزاب الاسرائيلية تأثيرا في الشارع العربي . ولقد ادت هذه الحقيقة الى « ردود فعل » من جانب السلطات ، وقد ابتدأت ردود الفعل هذه بحملة

---

(٨) كان السبب في تغيير الاسم هو ان متصرف اللواء منع اقامة « الجبهة العربية » معتمدا على قانون عثماني قديم ما زال ساري المفعول حتى الان في اسرائيل ، وينص هذا القانون على انه يمنع تسجيل اي منظمة ذات طابع عنصري او قومي في البلاد . ورغم ذلك فلا تزال توجد في اسرائيل منظمة تسمي نفسها الهستدروت ، واسمها الكامل : «المنظمة العامة للعمال **العبريين** في فلسطين» . (في ١٩٦٦ قرر مؤتمر الهستدروت حذف لقب « العبريين » من اسم المنظمة بعد نقاش طويل قال فيه شمعون بيرتس : هل نلغي نشيد « هتكفا » (النشيد القومي الاسرائيلي) لمجرد وجود عرب في الدولة ؟) . (المترجم) .

مسعورة شنتها الصحف العبرية بوحي من اجهزة المخابرات، ضد عرب اسرائيل . واعقبت ذلك حركة نفي واعتقال على مدى واسع قام بها الحكم العسكري ، الذي خرج عن طوره في اعقاب قيام هذا التنظيم وفشل هجومه على عمال الناصرة وضواحيها العربية في عيد اول ايار (مايو) ١٩٥٨ (٩) .

غير ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي لم يحظ بقطف ثمار عمله . فقد ادت اسباب خارجية ، لا تتعلق بهذا الحزب ولا بعرب اسرائيل ، الى تغيير الصورة تغييرا جذريا والى قلب الامور رأسا على عقب . ففي تلك الفترة غيّرت الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية موقفها من الحركة القومية العربية ، وخاصة الشيوعيون السوريون ، برئاسة خالد بكداش ، الذين بدأوا نشاطهم ضد الجمهورية العربية المتحدة ، مما ادى الى شقاق بين الطرفين ـ وهو شقاق اكده الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب علني القاه في بور سعيد في نهاية ١٩٥٨ ، هاجم فيه بعنف الحزب الشيوعي السوري على موقفه السلبي من الوحدة العربية والقومية العربية .

---

(٩) في اول ايار (مايو) ١٩٥٨ هاجمت قوات الشرطة والحكم العسكري التظاهرة الجبارة التي قام بها العمال العرب على مختلف فئاتهم ، في الناصرة . وانتهى هذا الهجوم الوحشي بجرح عشرات من الطرفين ، ثم نفي العشرات من المشتركين في التظاهرة . (المترجم) .

وقد ادت حملات القاهرة التي اعقبت هذا الخطاب، والحملات المضادة التي شنها الشيوعيون في العالم العربي ، والتي اشتركت فيها فيما بعد اغلبية الاحزاب الشيوعية في العالم — ادت الى تعميق الشقاق بصورة جدية . اما الحزب الشيوعي الاسرائيلي فقد ترك شعاراته « المتطرفة » وعاد الى الشعارات المشهورة التي ترفعها الشيوعية الدولية .

هذا الوضع الجديد ادى في الحال الى تغيير في موقف عرب اسرائيل . وهكذا بدأ اكثر القادة العرب والجماهير العربية يتركون الحزب والتعاون السياسي معه . كما ان الجبهة الشعبية ، وهي الاحراز الرائع الذي احرزه الحزب ، انشقت الى قسمين حين رفض الشيوعيون قصر البحث على المشاكل الداخلية فقط ، كما كان متفقا عليه من قبل . وكانت لهذا الموقف الجديد الذي اتخذه الحزب الشيوعي نتائج بالغة الضرر فيما يتعلق بمكانته بين العرب . وتشهد على مدى هذا الضرر حقيقة انه في انتخابات ١٩٥٩ للكنيست انتخب ثلاثة نواب شيوعيون فقط بدلا من ستة انتخبوا في ١٩٥٥ — اي هبوط بنسبة النصف . ومنذ ذلك الوقت ارتفعت مكانة الحزب الشيوعي بين عرب اسرائيل مرة اخرى ، ولكنها لم تعد ابدا الى ما كانت عليه في ١٩٥٨ .

اما حزب العمال الموحد «المابام» فقد نال مكانة خاصة،

واحيانا غريبة ، في وسط عرب البلاد . فالنشاط السياسي لهذا الحزب ، الذي ابتدأ منذ قيام اسرائيل والذي ارتكز على اسس ايديولوجية ومصلحية معا ـ هذا النشاط اتخذ اشكالا مختلفة بين الحين والحين . فمطاطية هذا الحزب ومواقفه المتسامحة من بعض القضايا العربية « الملتهبة » ـ جذبت اليه قسما من الشباب العربي الغاضب الذي رفض ان يتعاون مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي والذي لم يكن بامكانه ان يتنظم في اطار مستقل . هذا القسم من الشباب وجد نفسه، حين لم يجد سبيلا اخر، في صفوف هذا الحزب.

والمابام هو الحزب الصهيوني الوحيد الذي يقبل في صفوفه اعضاء عربا متساوين في الحقوق والواجبات ، ولو بصورة شكلية . وقد قام هذا الحزب بنشاط واسع ومستمر في اوساط العرب مستعينا في ذلك بجريدته الاسبوعية باللغة العربية « المرصاد » لبث ارائه ومبادئه بين العرب . كذلك اصدر مجلة ادبية سياسية شهرية ، « الفجر » ، (توقفت في ١٩٦٢ عن الصدور) واسس « شركة الكتاب العربي » التي اصدرت مجموعة من الكتب العربية (التي صدرت في البلاد العربية) لسد قسم من النقص السائد في البلاد فيما يتعلق بالكتب العربية على اختلاف انواعها .

الا ان المابام اصيب ايضا بفشل فيما يتعلق بنشاطه في

الوسط العربي في البلاد • وترجع اسباب هذا الفشل الى طبيعة هذا الحزب ونقائصه التقليدية • فلقد جذب ، كما ذكرنا ، كلام المابام عن الاشتراكية والطلائعية واخوة الشعوب قسما معينا من الشباب العربي الى صفوف هذا الحزب • غير ان اسلوب انصاف الحلول الذي يتبعه الحزب ومواقفه السياسية التي يتناقض الواحد منها مع الآخر ، وانعدام القدرة على اتخاذ قرارات حاسمة في صفوف قادته ـ كل هذه الامور ادت الى ترك الاعضاء العرب صفوف هذا الحزب بصورة متواصلة • فتأييد المابام ، مثلا، لحركات التحرر القومي ، لم يقنع اعضاءه العرب بصحة موقفه من الحركة القومية العربية • وايمان المابام بحق تقرير المصير للشعوب لم يتلاءم مع موقفه من مشكلة عرب فلسطين • في الوقت نفسه فان المواقف المتباينة التي اتخذها الناطقون اليهود والعرب باسم الحزب ، والتي برزت في مقالات واخبار متناقضة نشرت في صحيفة الحزب بالعبرية « عال ـ همشمار » وصحيفته بالعربية « المرصاد » في مناسبات مختلفة ـ برهنت ، في تلك المناسبات ، على تلوّن هذا الحزب ، كذلك فان دعوة المابام الى «الاعتدال» (« الكفاح داخل الحكومة ») والى الامتناع عن اعمال « حازمة » (لئلا « يغضب » هذا الامر الحكم العسكري ••) ، وذلك اثناء اشتراك هذا الحزب في الحكومات المختلفة التي استمرت في سياسة اضطهاد العرب ـ قلّل من شأن هذا الحزب

في اعين المثقفين العرب ٠

بالرغم من هذا يجب ان نعترف ان المابام قام بامور كثيرة في مجالات مختلفة ، لصالح عرب البلاد ، فكثيرون من الشباب العرب وجدوا عملا لمدد طويلة في كيبوتسات هذا الحزب ومشاريعه ، حين لم يكونوا في الواقع يستطيعون الحصول على أي عمل آخر ٠ هؤلاء الشباب ، وكذلك اعضاء الحزب العرب ، بعكس غيرهم من الذين ارتبطوا باحزاب صهيونيه اخرى – يحرصون الى حد معين على « استقلال » فيما يتعلق بارائهم وهويتهم وانتمائهم القومي٠ كما ان الوزارات التي اسندت الى اعضاء المابام في الحكومة بذلت جهودا مختلفة ، خاصة وزارة الصحة ، من اجل تحسين اوضاع العرب ٠

هذا هو الوضع السياسي لعرب اسرائيل ٠ فالنشاط السياسي في وسطهم مسموح به ، لاسباب مختلفة ، للاحزاب الصهيونية فقط ، التي يتركز اهتمامها على اصطياد اصوات الناخبين العرب بوسائل مختلفة وعجيبة ، قانونية وغير قانونية ، مثل استغلال مؤسسات الدولة ووزاراتها لهذا الغرض ومنح طيبات اشبه بالرشوة للناخبين او حتى شراء الاصوات عدا ونقدا ٠ وفي مواجهة هذه الكتلة من الاحزاب الصهيونية يقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي ادعى ، لمدة طويلة ، بانه الوصي المطلق على عرب البلاد ٠ ولقد

اتفقت هذه الفئات كلها ، من اجل المحافظة على مصالحها الحزبية ، على منع قيام اي تنظيم عربي مستقل ـ وهو اتفاق حظي حتى هذا اليوم بنجاح مذهل . ولقد جرت ، بالطبع ، عدة محاولات لاقامة حزب عربي مستقل ، لكن اكثرها كان محاولات غير جدية حكم عليها بالفشل منذ البداية .

هنالك اسباب كثيرة منعت قيام تنظيم او حركة عربية سياسية مستقلة في اسرائيل . ففي السنوات الاولى لقيام الدولة لم يفكر في هذا الاتجاه سوى افراد قليلين . اما السكان العرب عموما فانهم لم يحرزوا شيئا في هذا المجال . بسبب انعدام التجربة السياسية من جهة ، بعد ان ترك اكثر قادتهم البلاد في ١٩٤٨ ، وكذلك بسبب المراقبة الشديدة والوسائل الحازمة التي اتخذتها السلطات ضد الذين فكروا في هذا الاتجاه . وهكذا فان الفئات التي ارادت القيام بنشاط سياسي او التعبير عن مرارتها ، لم تجد امامها سبيلا لذلك سوى امكانية واحدة هي : الانضمام الى الحزب الشيوعي او التعاون معه او مع احزاب اخرى ، حسب الظروف .

ومع ارتفاع راية القومية العربية ، خاصة بعد ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ في مصر ، واشتداد الصراع ضد الاستعمار الغربي وتأثيره في الشرق الاوسط ، ثم بعد ذلك في شمال افريقيه ، وكنتيجة لسياسة الاضطهاد والتمييز التي اتبعتها اسرائيل ضد السكان العرب ـ اصبح التعاون مع الحزب

الشيوعي وثيقا جدا . ذلك لان الشيوعيين في تلك الفترة ، في اسرائيل والعالم العربي معا ، ايدوا الكفاح العربي بدون تحفظ تقريبا . في تلك الفترة ، خصوصا بين ١٩٥٤-١٩٥٨ ، كف القادة العرب في اسرائيل عن ذكر اقامة حزب عربي مستقل ، وتوقفت الاستعدادات (هذا اذا كان قد بدىء بها) لاقامة مثل هذا التنظيم ، تماما . وكبديل لاقامة حزب عربي اقيمت « الجبهة الشعبية » (العربية) [١٠] .

ولقد استمر التعاون مع الحزب الشيوعي - كما قدمنا - حتى ١٩٥٨ حين حدث الشقاق السافر بين الحركة القومية العربية وبين الاحزاب الشيوعية في العالم العربي ، وعندها فترت العلاقات داخل الجبهة بين الشيوعيين والقوميين وازداد التوتر بين الطرفين . ولم تمض اكثر من خمسة او ستة شهور حتى انقسمت « الجبهة الشعبية » الى قسمين .

اما القسم الاول - المكوّن عمليا من ثلاثة او اربعة اشخاص - فقد واصل تعاونه مع الحزب الشيوعي في اطار « الجبهة » . واما القسم الثاني ، وهو القسم الذي ايد بصورة مبدئية الحركة القومية العربية ، فقد ترك «الجبهة» نهائيا وقرر ان يواصل نشاطه السياسي بصورة مستقلة . وفي الحال ، بعد ترك الجبهة ، اسس هذا القسم ذلك التنظيم

(١٠) كان الشيوعيون الذين اشتركوا في الجبهة كممثلين عن حزبهم كلهم من العرب . (المترجم) .

الذي عرف باسم « جماعة الارض » ؛ ونشر برنامج عمل خاص به . كذلك قدم طلبا لاصدار صحيفة اسبوعية باللغة العربية باسم : « الارض » . وفي الوقت نفسه ابتديء باصدار الصحيفة [١١] انتظارا للحصول على ترخيص اصدارها بانتظام . وكانت الاعداد الثلاثة عشر من هذه الصحيفة معبرة عن الغضب على القائمين على الحكم بحيث انها انتشرت انتشارا واسعا ؛ وقد عقد شيموئيل ديبون ، مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، مؤتمرا صحفيا بتاريخ ١٩٦٠/١/٣١ في نادي الصحفيين المعروف باسم (بيت سوكولوف) في تل ابيب أنذر فيه « بالخطر » الذي يتعرض له كيان الدولة نتيجة لنشاط هذه الجماعة ، وهدد باتخاذ اجراءات عنيفة ضد اعضائها . ولم يتأخر مجيء رد الفعل ، اذ ان الصحيفة اغلقت بعد اسبوعين ، وقدم ستة من محرريها الى المحاكمة . وبعد ذلك بزمن قليل تقدم اعضاء جماعة الارض بطلب لتسجيل شركة للنشر والتأليف باسم

---

(١١) صدرت الصحيفة باسماء مختلفة . فقد سميت احيانا ندى الارض ، واحيانا شذى الارض ، الخ . كان المحرر في كل مرة شخصا اخر ، وذلك حسب قانون لا يزال سائدا في اسرائيل يسمح باصدار اي انسان نشرة لمرة واحدة . وبتغيير الكلمة الاولى المضافة لكلمة «الارض» واسم المحرر كان يمكن اعتبار الجريدة كنشرة لمرة واحدة . (المترجم) .

(شركة الارض المحدودة) ، لكن مسجل الشركات رفض ان يقر هذا التسجيل وادعى ان عملا كهذا « يعارض امن الدولة وصالح الشعب » • واقرت محكمة العدل العليا (وقد تألفت من ثلاثة قضاة) الامر الصادر منها ضد مسجل الشركات ، بعد طلب تقدم به المستشار القضائي لحكومة اسرائيل ، لمناقشة هذا الموضوع ، فتسجلت الشركة نهائيا • وقد تألفت محكمة العدل العليا آنذاك من خمسة قضاة [١٢] •

لكن هذه الجماعة لم تحقق مثل هذا النصر عندما طلبت اصدار صحيفة اسبوعية عربية ، فقد رفض حاكم اللواء طلبها دون ان يبدي اي سبب لذلك ، واستعمل صلاحياته بموجب قوانين الدفاع لسنة ١٩٤٥ • وكذلك ردت محكمة العدل العليا طلب هذه الجماعة استصدار امر ضد حاكم اللواء • وقالت « ان هذه المسألة لا يمكن لها ان تكون موضوع مناقشة هنا ، بل بمكان آخر » [١٣] • وازاء وضع

---

(١٢) منصور كردوش ضد مسجل الشركات . ملف محكمة العدل العليا رقم ٦٠/٢٤١ ، وقرارها رقم ١٦ ، صفحة ١١١٥ ، ومسجل الشركات ضد منصور كردوش مناقشة اخرى رقم ٦١/١٦ ، القرار رقم ١٦ ، صفحة ١٢٠٩ .

(١٣) تفوه بهذه الجملة القاضي اليهودي اولشان ، رئيس محكمة العدل العليا ، في القضية رقم ٦٤/٣٩ ، المتكونة بين جماعة الارض وحاكم اللواء الشمالي . انظر القرار ١٨ ، الجزء الثاني صفحة ٣٤٠ ، صفحة ٣٤٣ .

كبدا . لم يكن ثمة مندوحة من الاستمرار بالعمل الساكت . نسبيا . وكان قد بدىء بهذا العمل من قبل فانشئت فروع جديدة للجماعة في ارجاء المناطق المأهولة بالعرب من اسرائيل الامر الذي تمخض عن توسيع مجال عمل الجماعة : فازداد نفوذها بحيث ان شهادة تشكيل هذه الجمعية استخدمت كبطاقة عضوية لدى افرادها .

وفي الاشهر الاولى لسنة ١٩٦٤ قررت الجماعة تسجيل جمعيتها ضمن أطار رابطة الصحفيين : باسم (حركة الارض) : وارسل بيان بهذا الامر الى السلطات الرسمية وفيه دستور الحركة . لكن الجواب لم يتأخر ، وجاء فيه ان حركة الارض حركة ممنوعةاذ انها انما تشكلت للنيل من قيام دولة اسرائيل وسلامتها . وهكذا اضطرت جماعة الارض الى مراجعة محكمة العدل العليا مرة اخرى ، فقدمت اليها القانون وتفسيره بنص اكد ان جماعة حركة الارض تعمل لتحقيق الغايات التالية او قسم منها :

١) رفع مستوى التعليم والصحة والاقتصاد والسياسة بين جميع اعضائها .

٢) تحقيق المساواة التامة والعدالة الاجتماعية بين جميع طبقات الشعب في اسرائيل. وفسر هذا الطلب بأنه يشير الى الجانب الداخلي للقضية العربية

الاسرائيلية ، ويعكس رغبة مؤسسي جماعة الارض ، تلك الرغبة التي تطالب بالغاء سياسة الاضطهاد والتمييز العنصري المطبقة على العرب المقيمين في اسرائيل ، ومن ذلك ، الغاء الاحكام العسكرية ، والتوقف عن عمليات مصادرة الاراضي العربية ، واعادة الاراضي المصادرة بقدر المستطاع الى اصحابها ، وتحسين حالة العمال العرب ، والتعليم العربي والخدمات الطبية ... الخ ، وكذلك الغاء بوادر الاضطهاد الموجهة ضد جميع الطبقات الشعبية في اسرائيل ، دون تمييز ديني او طائفي او عنصري او قومي .

٣) العثور على حل عادل للقضية الفلسطينية مع النظر اليها كوحدة غير قابلة للتقسيم . وبمعنى آخر الحل العادل الذي يقيم الوزن لجميع نواحي القضية الفلسطينية كوحدة تامة . ومؤسسو جماعة الارض يرون جميع الاشياء المرتبطة بالعلاقات بين العرب واسرائيل ، مثل قضية اللاجئين العرب ، والحدود ، والاملاك التي تركها العرب وراءهم في اسرائيل ، ومياه الاردن .. الخ جزءا واحدا يتطلب حلا نهائيا شاملا ، في حين ان الحلول الجزئية لاحدى هذه القضايا او لبعضها لن يحقق حالة الاستقرار والامن

والسلام في منطقـة الشرق الاوسط ، وذلك وفق رغبـات الشعب العـربي الفلسطيني التي تعكس مصالح هذا الشعب وامانيه ، وتعيد اليـه كيـانه السياسي ، وتضمن له حقوقه التـامة والمشروعة ، وترى فيـه صاحب الحق الاول في تقريـر مصيره بنفسه .

ولمـا كان هـذا الحل متعلقـا بالشعب العربي الفلسطيني الذي فقد كيانـه السياسي وحقوقـه القانونية ، فتفرق ايدي سبأ واصبح مشتتا الان في عدد من الدول وخاضعا لسيطرات مختلفة واحكام شتى ، الامر الذي يشكل العامل الرئيسي لحـالة عدم الاستقرار وفقدان السلام في الشرق الاوسط، من اجل ذلـك فمنظمة الارض تقترح حلا يعيد الى هـذا الشعب كيانـه السياسي ، ويمكنه من تقرير مصيره بنفسه ووفق رغباته دون تدخل يقوم به أي جانب مهما كان من الخارج. وتعترف الامم المتحدة بهذه المبادىء التي اقرتها ايضا مؤتمرات ولقـاءات دولية شتى .

وفيما يتعلق بالاماني العليا للامة العربية فان

مؤسسي جماعة الارض يرون ان الشعب الفلسطيني يؤلف جزءا لا يتجزأ من الامة العربية • ومن اجل ذلك ، كان من الطبيعي ان يقيم هذا الشعب الوزن للاماني والمصالح العربية ، في حالة تقريره مصيره •

ويرى مؤسسو جماعة الارض ان القضية الفلسطينية قائمة بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني وحده ، في حين انها قد حلت بالنسبة للشعب اليهودي الذي قرر مصيره فحقق سيادته واقام دولته ، الامر الذي لم يتحقق بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني •

وعبّرت جماعة الارض عن موقفها الجوهري هذا كما استعرضناه اعلاه في مناسبات شتى ، وبصيغ مختلفة ، في الاعداد الاولى من صحيفتها التي صدرت في نهاية سنة ١٩٥٩ ومطلع سنة ١٩٦٠• وكذلك ادرجت هذه المبادىء في المذكرة التي بعث بها جماعة الارض باللغة الانجليزية ، بتاريخ ١٩٦٤/٦/٢٣ ، الى سكرتير الامم المتحدة ، والسفارات الاجنبية في اسرائيل ، والصحافة العالمية • وفيها اكدت وجوب حفاظ حل هذه القضية على حقوق الشعبين العربي واليهودي •

٤) تأييد الحركات التحريرية والوحدوية والاشتراكية في العالم العربي بجميع الطرق المشروعة ، مع النظر الى هذه الحركات كقوة حاسمة في العالم العربي ، وخليق باسرائيل ان تنظر اليها نظرة ايجابية . ومؤسسو جماعة الارض يؤيدون الحركة القومية العربية ، ويرون فيها قوة تقدمية ، بناءة ، حاسمة في العالم العربي . وان موقفا ايجابيا تقفه اسرائيل ازاء هذه الحركة من شأنه ان يساعد على حل جميع القضايا المعلقة ، وان يجلب السلام الى المنطقة .

٥) العمل في سبيل استتباب السلام في الشرق الاوسط خاصة وفي العالم اجمع عامة .

٦) تأييد جميع الحركات التقدمية في سائر انحاء المعمورة ومعارضة الاستعمار وتأييد الشعوب المتطلعة للتحرر منه .

وبعد ان ناقش القاضي «فيتكون» هذه الغايات ، وبعد أن رد باستهزاء التفسيرات التي وضعت لها بشكل « ميثاق » للدولة التي لا تقوم الا في عالم الخيال ، قرر ما يلي : « المادة الثالثة من غايات جماعة الارض تشجب بالكلية كيان دولة اسرائيل بصفة عامة وكيانها بحدودها القائمة اليوم بصفة خاصة . وهذه المادة تثير القضية الفلسطينية وتطالب بحلها

كوحدة غير قابلة للتجزئة وفق رغبات الشعب العربي الفلسطيني الذي هو وحده ، صاحب الحق الاول في تقرير مصيره ، وذلك ضمن اطار الاماني العليا للامة العربية ، والمنادون بهذه الغايات يتعامون عن قيام دولة اسرائيل وعن حقوق الشعب اليهودي الذي يقيم فيها » .

واستطرد هذا القاضي فكتب «ان مؤسسي جماعة الارض لم يستصوبوا ان يفسروا تحفظهم حيال الاماني العليا للامة العربية ، ولا اعترافهم بدولة اسرائيل كدولة ذات سيادة ، ولا بأسسها والمبادىء القائمة عليها . ولا قبولهم للمبدأ القائل بأن احتواء مساحة الدولة ضمن منطقة فلسطين سوف يكون مرتبطا بقبول اليهود لمبدأ وجودهم في هذه الوحدة السياسية . وجماعة الارض لم تنشر ولم تذكر هذه الاقوال لان جميع نضالها موجه ضدها » ــ اي اسرائيل .

واخيرا علق هذا القاضي على مذكرة حزب الارض بقوله « انه لم يحدث قط في التاريخ ان دولا يقوم فيها نظام ديمقراطي سليم ثارت عليها حركات فاشستية واحتكارية على جميع انواعها فاستعملت جميع الحقوق المتعلقة بحرية الكلام وحرية الصحافة ، وحرية تشكيل الجمعيات ، تلك الحقوق التي تمنحها الدولة للافراد ، في محاولة تستهدف ادارة النشاط المدمر ، في ظلال هذه الحريات . وكل من رأى

الاحداث التي مرت في عهـــد جمهورية (فيمر الالمانية) فانه لن ينسى الدرس الذي تعلمه • ومن هنا لن يكون الطريق بعيدا للوصول الى النتيجة النهائية القائلة بأنه من الضلال الاعمى ان يمنح التصريح لجماعة حزب الارض » •

وكتب القاضي لندو : « ان اصطلاحات الحرية والوحدة والاشتراكية في العالم العربي تحمل بين طياتها مفاهيم واضحة ومحددة ، وهي مندمجة معا في القاموس السياسي المعاصر • واستنادا الى هذه الشعارات تطالب مصر بزعامة العالم العربي لنفسها ، وهذا العالم يؤكد هذه الحركة باعتبار القاهرة مركزا لها ، ويرى فيها القوة المرجحة في العالم العربي ، ويعتنق روحا عدائية لدولة اسرائيل ، ويتطلع لازالتها من الوجود بالقوة • والحقوق البدائية لكل دولة تدعو الى الحفاظ على استقلالها وكيانها ضد اعدائها من الخـــارج والداخل معا • ولا تنبغي المطالبة من اي حكومة بأن تساعد على قيام طابور خامس داخل حدود دولتها باسم الحفاظ على حرية الجمعيات » •

وقد علقت صحيفة الاتحاد في عددها الصادر بتاريخ ١٣/١١/٦٤ على هذا القرار بقولها « اننا نعتقد ان المحاكم قد اقيمت لتصدر قرارها بشأن مشروعية اية حركة سياسية • وتمثيل المحاكم كحارسة قضائية على الحركات السياسية

يعتبر تدجيلا على وجوب فصل السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية بعضها عن بعض ٠ وانا لواثقون ان القرار الصادر عن المحكمة ، وهو قرار استند الى مصطلحات الدولة ، ليس الا جدلا سياسيا مع رجال حركة الارض، خصوصا بعد ان عجزت السلطات الحكومية عن ايجاد مأخذ واحد يمكّنها من توجيه التهمة الى رجال الارض بأنهم مخالفون للقانون ، وبنوا تهمهم على اذاعات القاهرة ومقتطفات من الصحف ... ولا ينبغي توجيه التهمة الى رجال الارض بأنهم لا يعترفون باسرائيل ، في حين انهم يضعون في طليعة غاياتهم العمل لتحقيق المساواة التامة والعدالة الاجتماعية بين جميع الطبقات الشعبية في اسرائيل ، وكذلك لا ينبغي اتهامهم بأنهم لا يعترفون بالشعب اليهودي ولا يعترفون بسياسة التعايش السلمي المشترك او المساواة بين الشعبين العربي واليهودي ، في حين ان حكام اسرائيل انفسهم يتنكرون لحقوق الشعب العربي الفلسطيني ولحقوق اللاجئين من ابناء هذا الشعب في العودة الى وطنهم ٠

وتجلت النوايا المبيتة لحكومة اسرائيل ونشاطها التعسفي عندما استندت هذه الحكومة الى تصريحات ومواقف بعيدة عن رجال حركة الارض٠ واذا كانت الحكومة تنوي الاعتماد على الاقوال والتصريحات فلماذا اغفلت الدعوة التي وجهها رجال حزب الارض في مذكرتهم الاخيرة

الى الامم المتحدة ، وفيها طالبوا بحل قضية فلسطين على اساس قرارات الامم المتحدة ، وهذا الامر يعني الاعتراف بدولة اسرائيل . ومطالبة جماعة الارض بتسجيلهم كمنظمة قانونية تقيم الدليل على اعترافهم باسرائيل ، بالاضافة الى تصريحاتهم الصادرة بهذا الاتجاه ، كما نشرتها الصحافة المحلية .

واستناد المستشار القضائي في معارضته لتسجيل حزب الأرض ، الى تصريحات ونوايا ما تفوه بها رجال حركة الارض ليس الا قرارا سياسيا معدا سلفا لاقرار نشاط تعسفي مناهض للديمقراطية ، ومستهدف سلب حق قيام جماعة من المواطنين في الدولة من مزاولة نشاطهم السياسي ، والعمل بطريق مشروع وواضح المعالم ضمن دستور الدولة .

واستلاب رجال حركة الارض حقهم في القيام بنشاط سياسي مشروع لا يفسر بأنه ضربة موجهة الى رجال حركة الارض فحسب ، بل انه هجوم آخر على الحريات الديمقراطية في الدولة ، تحت ستار مزيف يدعونه « شؤون الدفاع » ونحن نستنكر هذه الوسيلة ونحتج عليها .

والحق يقال ان المعارضة لهذه المطالب ، او عدم التجاوب معها ، ما كان ليرجح الكفة في موقف حكومة اسرائيل من هذه القصة . ويشك كثيرا في ان احدا من الاوساط الرسمية

في اسرائيل استصوب التفكير بهذه الاعتبارات . اذ ان السياسة الخارجية الاسرائيلية المرسومة للعروبة تبدو محددة ومرسومة سلفا . فالعرب (متهمون) بشجب الصلح بين اسرائيل والدول العربية المجاورة . ولو انهم كانوا معترفين باسرائيل لتوصلوا ساعتئذ الى حل جميع النزاعات طفرة واحدة . وعناد العرب هو الذي ألزم اسرائيل على اتخـاذ اجراءات تأديبية انتقامية عسكرية ضدهم ، للحصول على هذا الاعتراف . ولما تبين ان لا فائدة عملية ترجى بهذه الطريقة ، فضلا عن خطورتها ، عثر على طريقة جديدة بموجبها تستطيع دول المعسكر الغربي ان تحل النزاع القائم بين الدول العربية واسرائيل عن طريق ضغط يوجه من جانب دول هذا المعسكر ضد العرب. ولما افلست هذه الطريقة ايضا، وضع حالا مشروع آخر يقضي بايجاد (حزام) من الدول الصديقة الافرو آسيوية حول اسرائيل . واذا ازفت الساعة المؤاتية فان هذه الدول سوف (تجبر) العرب على الاعتراف بمطالب اسرائيل . وما هي هذه المطالب ؟ الاعتراف بدولة اسرائيل ذات السيادة . الاعتراف بما تصبو اليه من هجرة جميع يهود العالم اليها ، ولتحقيق هذه الهجرة ربما كانت ثمة حاجة ملحة لاحتلال مساحات اخرى من العالم العربي تحت ستار (تحريرها) ، اذ ان الامر يتطلب دائما التفكير بالوضع الخاص بهذه الدولة اليهودية . وما هو الشيء الذي

تجنيه العروبة بالمقابل ؟ ان اسرائيل هي الاخرى سوف (تعترف) بالعالم العربي ، وبعد قيام علاقات سلام يسمح بتقديم الطلب الى حكومة اسرائيل بأن تمنح المساعدة في بعض المجالات الحيوية ، كتدريب المظليين وتربية الدواجن ، الامر الذي لم يدر حتى الان بخلد الشعوب العربية .

اذاً لم تسلك حكومة اسرائيل هذا المسلك الذي سلكته نحو جماعة الارض نتيجة لاعتبارات قائمة في سياسة اسرائيل الخارجية . كما ان حركة الارض كانت بعيدة جدا عن الوصول الى مجال تكون عنده ذات تأثير على هذه السياسة . بل ان هذا السلوك وضع على اسس اعتبارات قائمة في السياسة الداخلية الاسرائيلية المرسومة للعرب المقيمين في اسرائيل .

وحكومة اسرائيل (ونعني هنا حزب الماباي) عملت خلال سنين كثيرة ، وعمليا منذ قيام دولة اسرائيل ، في سبيل قيام (كتلة) عربية قوية في اسرائيل ، مسيطرة على جميع مجالات الحياة العربية في اسرائيل ، وخادمة لمصالح دولتها . وقد انشأت حكومة اسرائيل دوائر خاصة لهذه الغاية في اكثر وزاراتها ومؤسساتها العامة ، واكثرها كان تحت اسم (ادارة الشؤون العربية) . وهذه العناصر ، ومن ورائها المتعاونون في العمل معها من عرب اسرائيل ، تطورت على

مرور الزمن : فاصبحت جهازا خاصا ذا مصالح سياسية واقتصادية واجتماعية . وفي سبيل ضمان هذه المصالح قامت واديرت اساليب نشاط خاصة بين السكان العرب في اسرائيل. وهذا الجهاز قدم خدمات مهمة لرؤسائه ، وبمساعدته جلب حزب الماباي الى الكنيست في كل انتخاب اربعة او خمسة نواب عرب ايدوا هذا الحزب دون تحفظ . ومقابل هذا التأييد حصل هؤلاء النواب وداعموهم على الكثير من الحسنات والهناء من السلطة . والموظفون الذين يعملون في خدمة هذا الجهاز سببوا نقل آلاف الدونمات من الاراضي العربية من اصحابها العرب الى ملك الحكومة . ومقابل ذلك كدسوا آلاف الليرات الاسرائيلية في جيوبهم .

ولهذا الجهاز ، وقد تطور بسرعة مذهلة ، ممثلون خاصون به ، وقد توزعوا بين جميع المؤسسات ذوات التأثير على الرأي العام في اسرائيل ، وخاصة في مجال الصحافة ، ولم يعد له ممثلون كهؤلاء في الاذاعة والكنيست والاحزاب الاخرى . واكثر خدمته ، وخصوصا ذاك النفر منهم الموزع على الصحف الاسرائيلية ، وتلك العصبة من المحرضين المحترفين المعروفين باسم (الخبراء بالشؤون العربية) ، يعملون في سبيله مقابل هناء اقتصادي ، في حين ان الآخرين منهم يؤيدون هذا الجهاز بدافع اعتبارات عقائدية بعد ان اقنعوا بأن نشاطهم هذا مطلوب للحفاظ على أمن الدولة

وسلامتها ومصالحها الحيوية •

والكثيرون من العرب المقيمين في اسرائيل لم يهادنوا نشاط هذا الجهاز • لكن القسم الاعظم من هؤلاء وقف مكتوف اليدين ازاءه • والحق يقال انا نرى ، بين الحين والآخر ، وميض معارضة لخطط هذا الجهاز ، لكنها كانت سرابا عابرا قضى عليه نشاط مضاد احتضنته الشرطة في اسرائيل بمساعدة الاحكام العسكرية • وتسخض النشاط الذي قامت به جماعة الارض على مجال ضيق ، لكنه شمل البلاد كلها رغم القيود التي وضعت في طريقه ، عن تحريض اجرامي ضد هذه الجماعة ، من على جميع المنابر التي اقيمت ثمره اهدافها • ومع ذلك فلسنا نفترض ان جهاز حزب الماباي هذا اصطدم برجال حزب الارض وحدهم في محاولته الدفاع عن مصالح الحزب ، بل ان اصطدامات اخرى حدثت مع احزاب يهودية حاولت ان تنشر نشاطها في صفوف العرب المقيمين في اسرائيل ، واوساط حزب المابام ، مثلا ، تعلم عن اساليب الضغط التي يستعملها هذا الجهاز ضد اعضاء حزب المابام من العرب، وهي اساليب تطبّق عمليا ضد جميع العناصر اليهودية ، غير المنتمية الى حزب الماباي ولا الى المؤسسات الخاضعة لسيطرته ، تلك العناصر التي ودت لو تبذل نشاطها السياسي او الاجتماعي في الاوساط العربية • والفرق الوحيد بين سلوك هذا الجهاز نحو جماعة الارض وسلوكه نحو سائر

انعناصر اليهودية ، يتجلى في مدى الضغط الذي يوجهه هذا الجهاز ضد الفريقين : انه لا يجترىء على الزيادة في الضغط ضد العناصر اليهودية ، في حين ان موقفه من حزب الارض خلاف لذلك .

وكما قلنا سابقا فان سهام هذا الجهاز الذي تقف من ورائه كل قوة الدولة ، مسددة ، رئيسيا ، ضد المنظمات العربية المستقلة التي من شأنها ، اذا حان الوقت ، ان تحبط خططه المبيتة ضد العرب ، او ان تنال منها . وعلى هذا فان النشاط السياسي او الاجتماعي بين عرب اسرائيل لا يمكن تحقيقه الا على ضوء الافتراضات التي يحددها هذا الجهاز. ومن اجل ذلك فقد اتهم حزب الارض ، بطريقة متناهية في الجد ، بأنه يساعد على افتتاح بعض النوادي الرياضية المستقلة في بعض القرى العربية ، واعلن الحاكم العسكري للمنطقة الوسطى ، مرة ، ان احدى قرى المثلث منطقة مغلقة ، مستهدفا منع اقامة مباراة لكرة القدم فيها بين منتخبي الجليل والمثلث ، اذ ان قيام منظمات كهذه بين عرب اسرائيل ، يعتبر ذنبا لا كفارة له في مملكة الاحكام العسكرية وشركائها . بل ما الحاجة لقيام نواد رياضية مستقلة ؟ لقد تقرر من زمن ان الادارة العربية للهستدروت ، النقابة العامة للعمال اليهود وهي خاضعة لسيطرة حزب الماباي المطلقة، هي وحدها التي يسمح لها ان تقيم نوادي في القرى العربية ، ويسمح لتلك

النوادي وحدها ان تنشىء منتخبات لكرة القدم . وهذه الدوائر وحدها هي الحاكمة بأمرها كيف تلعب كرة القدم ، وحتى مع من . وكذلك دبر الامر في مناطق عربية اخرى على هذا النمط . وعين لكل فرع من فروع النشاط مراقبون خاصون. ووضعت عناوين خاصة يمكن الرجوع اليها اذا اقتضى الامر . ومن كان وجهه موليا شطر النشاط الاجتماعي فما عليه الا ان يراجع الادارة العربية في اللجنة المركزية الدعائية في الهستدروت ، حيث يوضح له موظفوها ما هو النشاط الاجتماعي المرغوب فيه . ويرشدونه اين يحاضر ، وفي أي موضوع يتكلم . وحتى احيانا يعدون له نص المحاضرة . ومن اراد ان ينشر لوائح سياسية : فما عليه الا ان يتصل بادارة تحرير صحيفة (اليوم) التابعة للهستدروت . فاذا اقرت هيئة رقابة تلك الصحيفة هذه اللوائح فانها تنشر بكل احترام يليق بها ؛ واذا اصر احدهم بشدة على حقه بالتظاهر بأنه (ثوري) ، او استهدف ان ينشر شعرا غزليا ، فانه يسمح له بمراجعة صحيفة (المرصاد) التابعة للماباي ، وينذر بعدم اجتياز الخطوط الى صحيفة (الاتحاد) الشيوعية . فاذا قامت مشكلة خاصة تنوء جميع الخطط بحلها ، فلا مناص من مواجهة المستشار للشؤون العربية في مكتب رئيس الحكومة ، وهو فقرة في العمود الفقري لهذا الجهاز وفي يده مفتاح حل جميع تلك القضايا .

هذه هي مظاهر هذا الجهاز المسيطر على حياة العرب المقيمين في اسرائيل • وقرار محكمة العدل العليا المشار اليه اعلاه يبدو في عيون هذا الجهاز وكأنه عطية من السماء اعدت لتزيل (عثرة) اسمها حزب الارض • والحق يقال انه بعد نشر هذا القرار بيومين اعتقل بعض زعماء هذا الحزب ، واجرى التفتيش في اكثر مراكزه، فيالناصرة، والطيبة، ويافا، وحيفا ، والقدس، وبعض القرى العربية في الجليل والمثلث • وبعد ذلك بأسبوع اعلن وزير الدفاع ، استنادا الى قوانين الدفاع (حالات الطوارىء) لسنة ١٩٤٥ ، وهي قوانين الاحكام العسكرية : « ان العصبة من الاشخاص المعروفة باسم جماعة الارض او حركة الارض ، وليكن اسمها ما يكون من حين الى آخر ، وكذلك عصبة الاشخاص المتكتلين باسم جمعية الارض المحدودة ، وعلى العموم عصبةالاشخاص التي نشأت عن طريق نشاط مشترك قام به اصحاب الاسهم في الشركة المذكورة ، او بعضهم ، كل هؤلاء معا يشكلون اتحادا غير قانوني [١٤] » •

وتيجة لهذا التصريح ، اصبح كل شخص من افراد هذه العصبة تسول له نفسه القيام بأي نشاط ، مهما كان نوعه ، عرضة لعقوبة السجن عشر سنين •

وبالنسبة للمستقبل، يفترض ان هذهالسياسةالاسرائيلية

(١٤) كشكول الاعلانات ــ رقم ١١٣٤ ، تاريخ ٢٣/١١/١٩٦٤، صفحة ٦٣٨ •

الرسمية التي تضطهد اية ظاهرة من ظواهر الحركة القومية بين العرب المقيمين في اسرائيل . فتحارب اية منظمة تدعي بأنها تدافع عن حقوقهم ، سوف تستمر قائمة .

ومع هذا فمما تجدر الاشارة اليه انه منذ قيام دولة اسرائيل وجد فيها اناس ، وهيئات ، وصحفيون ، خاضوا المعركة مع عرب اسرائيل ودافعوا بشدة عن حقوقهم ، ومن هؤلاء الصحف الاسبوعية والشهرية (هاعولام هازيه) و (نر) لسان حال رابطة الاتحاد ، والجريدة الديمقراطية لسان حال القوة الثالثة . و (اتجر) لسان حال الحركة السامية ، و (متسبان) لسان حال المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية. ولسنا نعلم بالضبط ما مدى الدور الذي اسهمت فيه هذه الصحف في تحسين السياسة الاسرائيلية المرسومة حيال العرب المقيمين فيها . لكنه فيما يتعلق بالعرب انفسهم فقد اقتصر تأثير هذه العناصر على المثقفين العرب وحدهم . او بعبارة ادق . على قراء العبرية من بينهم . وقد كان القسم الاعظم منهم يكن لهذه الصحف ومحرريها التقدير والجميل.

واخيرا نشير الى ان عرب اسرائيل . على ما يبدو ، أقروا هذا الوضع ، فهرعوا بجماهيرهم الى الصناديق الانتخابية في ايام الانتخابات ، وكان عدد الذين قاطعوها منهم اقل من عدد مقاطعيها من اليهود . وعلى الصفحة التالية جدول للنتائج الانتخابية :

تقسيم اصوات الناخبين العرب (بالنسبة المئوية)

اللائحة الانتخابية	الكنيست الاولى (١٩٤٩)	الكنيست الثانية (١٩٥١)	الكنيست الثالثة (١٩٥٥)	الكنيست الرابعة (١٩٥٩)	الكنيست الخامسة (١٩٦١)
حزب المباي واللوائح العربية	٤٨ر٧	٦٧ر٩	٦٤ر٧	٤٩ر٠	٤٩ر٢
حزب الشيوعيين الاسرائيليين	٢٣ر٦	١٥ر١	١٥ر٦	١١ر٢	٢٢ر٥
حزب المابام	١١ر٣	٥ر٦	٧ر٣	١٤ر٠	١١ر٧
حزب احدوت هاعفودا	——	——	١ر٧	٥ر٢	٤ر٦
حزب الاحرار (الصهيونيون العموميون والتقدميون)	٢ر٤	٨ر٥	١ر٦	١ر٥	١ر٢
حزب حيروت	——	——	——	٢ر٢	١ر٦
الاحزاب الدينية	——	——	٢ر٣	٣ر٦	٣ر٦

واضطهاد الحكومة الاسرائيلية للعرب لا ينحصر سببه في تنظيمهم السياسي فحسب ، بل ان الخوف من التنظيم السياسي العربي ، او من استخدام المنظمات الاخرى لاهداف سياسية ، والرغبة في السيطرة سيطرة مطلقة على مجرى حياة العرب في اسرائيل ؛ كل ذلك يدفع السلطات الاسرائيلية لاتخاذ موقف سلبي من اية محاولة تنظيمية يقوم بها أي جانب عربي مهما كان ، ابتداء بالنوادي الرياضية وانتهاء باللجان لالغاء المهور . ولا يخلو حادث واحد من حوادث زمام المبادرة للنشاط الاجتماعي ؛ من جميع انواعه ولدى جميع طبقات المواطنين العرب في اسرائيل ، من جهد بذله الحكام العسكريون او خدمات الدفاع مستهدفين التوجيه والنصح لاصحاب فكرة النشاط من العرب في ان يضعوا نشاطهم تحت رعاية الادارة العربية للهستدروت ، النقابة العامة للعمال اليهود ؛ او في حزب الماباي . وما اكثر الاحداث التي اضطر عندها الكثيرون من العناصر العربية ، الذين ارادوا ان يقوموا بنشاط اجتماعي او ديني او تربوي ، ان يتنازلوا عن خططهم الاولى تجنبا للعثرات التي وضعت في وجههم ، وامتناعا عن اي نشاط مهما كان نوعه او التحول في نهاية الامر الى النشاط السياسي .

وألحقت هذه الجهود الاضرار بالشباب العربي ، بشكل

خاص • فقد اهمل هذا الشباب وحيل بينه وبين التنظيم . ولم يقترح احد عليه ان يختار شيئا آخر ، واصطدم من يوم الى آخر بمعاملة من الاضطهاد والاهمال قابلته بها السلطة الحاكمة ، فانقلب الى جماعة من الناس اليائسين ، الذين تطوروا الى افكار خطرة كالفرار من البلاد ، مثلا ، وما اكثر المتنكرين لهذه المعاملة والمطالبين بتغييرها ولكن لا حياة لمن تنادي •

واتخذ موقف سلبي مشابه ضد المثقفين من الشباب العرب الذين اهملوا عن سابق اصرار وتعمد ، فاصطدموا بصعوبات كثيرة ، وخاصة في الحصول على العمل • وأغلقت اكثر اماكن العمل الخاصة في وجوههم • والدوائر الحكومية الشتى تستوعب القسم الاقل منهم عاما فعاما : فمن بين ٤٨٫٧٩٣ موظفا حكوميا في سنة ١٩٦١ ، كان الموظفون العرب ٥٠٠ موظف فقط ، اي ١ ٪ تقريبا من مجموع الموظفين ، في حين ان السكان العرب يشكلون ١١ ٪ من مجموع سكان الدولة حسب كتاب الاحصاء السنوي لاسرائيل لسنة ١٩٦٣ [١٥] •

ولم تتورع حكومة اسرائيل من التدخل بالشؤون

---

(١٥) ص ٥٤٠ و ٦٢٩ •

الدينية للطوائف الدينية الشتى بين عرب اسرائيل • وكان مدى هذا التدخل واتساعه متباينا بين طائفة واخرى • وقد تمكنت اسرائيل من تحقيق هـذا التدخل لان حكومتها « اشترت » القسم الاعظم من رجـال الدين ، مسلمين ونصارى ودروزا •

وفيما يتعلق بالطوائف المسيحية على اختلاف انواعها ، فاننا نرى ان تدخل اسرائيل في شؤونها الداخلية ، ومقدار الاذى الذي تلحقه بها ، محدودان جدا • والسبب في ذلك يعزى الى ان المراكز الروحانية لهذه الطوائف تقع خارج حدود اسرائيل التي تضطر الى اقامة الوزن للرأي العام المسيحي في جميع ارجاء المعمورة ، وتخشى مغبة رد فعل سلبي تقوم به الكثيرات من الدول المسيحية التي ما زالت اسرائيل محتاجة الى مساعدتها • والحق يقال ان بعض العناصر اليهودية الدينية المتعصبة تقوم ، من حين الى آخر ، بنشاط معاد للبعثات التبشيرية في اسرائيل ، لكن هذا النشاط لا يوجه ضد العرب المسيحيين المقيمين في اسرائيل ، بوجه خـاص •

وليس الوضع كذلك بالنسبة للسياسة المرسومة للطائفة الاسلامية ، فهذه الطائفة تقاسي اكثر من اية طائفة اخرى في اسرائيل ، فالقسم الاعظم من املاك الاوقاف الاسلامية

صادره الحارس القضائي الاسرائيلي على املاك الغائبين ، والمصادر المالية المرصودة للغايات الدينية ضئيلة جدا •

كانت الطائفة الاسلامية تتمتع في ايام الانتداب باستقلال ذاتي على نطاق واسع وتام في مجال الدين • وكان المجلس الاسلامي الاعلى تعترف به حكومة الانتداب ، ويتولى الاشراف على الشؤون الدينية • وبقيام دولة اسرائيل ، زال هذا المجلس من الوجود ، فقد ألغته حكومة اسرائيل رسميا بموجب قانون القضاة لسنة ١٩٦١ •.وينص هذا القانون على تشكيل لجنة قوامها تسعة اعضاء (من بينهم ثلاثة اعضاء على الاقل ليسوا مسلمين) لتعيين القضاة في اسرائيل • ويشك في صلاحية هؤلاء القضاة للحكم بموجب تعاليم الدين الاسلامي ، وهو دين لا يعترف بالقضاة الذين عينهم اناس ليسوا مسلمين ، او ان اناسا كهؤلاء اشتركوا في تعيينهم • ومنذ ذلك الوقت سادت الفوضى في مجال الدين الاسلامي • ومجالس الامناء التي عينتها حكومة اسرائيل للاشراف على الشؤون الاسلامية ، بددت اموال الطائفة الاسلامية ، وساعدت حكومة اسرائيل على نهب القسم الاكبر منها • ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض المقدسات الاسلامية ، كالمساجد والمقابر ، انتهكت حرمتها بشكل مؤسف •

واحد الاسباب للموقف السلبي الذي تقفه اسرائيل

من الطائفة الاسلامية في اسرائيل يعزى الى الافكار القائمة حاليا في اسرائيل ، التي تربط بين الاسلام والقومية العربية. ومن هنا خرجت بعض الحوادث التي اسيء بها الى الاسلام والمسلمين في اسرائيل ، عن طريق التهييج. فقد كتب الدكتور عزرائيل كارلبخ ، رئيس تحرير صحيفة معاريف سابقا ، في هذه الصحيفة بتاريخ ٧/١٠/١٩٥٥ ما يلي : « الاسلام عدو كل تفكير مثمر ؛ وكل زمام مبادرة طيب القلب ، وكل فكرة منتجة . انه ما قدم قط اي صنيع في الماضي ، ولن يقدم اي جميل في المستقبل . انه الظلام ، انه الرجعية ، انه السجن لخمسمائة مليون انسان » .

اما موقف حكومة اسرائيل من الطائفة الدرزية فمختلف تماما . فالدروز يتمتعون بمعاملة متناهية في الطيب ، وقد بدأت هذه المعاملة الطيبة في سنة ١٩٤٨ عندما تطوع الشباب الدروز في الجيش الاسرائيلي ، واستمرت قائمة بالتعاون الوثيق القائم بين حكومة اسرائيل وشيوخ الطائفة الدرزية . ومن وراء هذه المعاملة الحسنة التي يتلقاها الدروز ، تقف بالفعل سياسة امل منشود رسمه زعماء اسرائيل ، ونقحها ، بتفصيل متناه بالدقة ، وعلى اسمى المجالات علوا ، زعماء اسرائيل الذين استهدفوا ان يوجدوا حلفاء للصهيونية في محاربتهم للحركات التحريرية القائمة بين الشعوب الشرقية . وبدأت هذه السياسة بتطوع الشباب الدروز (الذكور فقط)

في جيش الهاجانا •

بدأت حملة دعاية في اسرائيل وخارجها ، استهدفت تمثيل الدروز كشعب منفصل ، له لغة مشتركة مع اليهود في اسرائيل ، يعيش وكأنه في جنة عدن في هذه الدولة • ورمت الى اضعاف موقف الدروز في سائر البلاد العربية وخصوصا في سوريه ، وايجاد حالة من الشك في ولائهم او حتى انتسابهم الى الامة العربية والوطن العربي • والدليل على ذلك ان حكومة اسرائيل استغلت احداث سوريه في سنة ١٩٥٤ ، فجعلت من الكنيست منبرا خطابيا للدعاية ضد حكومة الشيشكلي ، وهدد عضو الكنيست الدرزي الشيخ جبر معدى بأن الدروز في اسرائيل لن يقفوا مكتوفي الايدي ازاء قصف الطائرات السورية لقرى جبل الدروز • ورغم ان الشعب السوري وزعماءه ، والعروبة كلها ، استنكرت هذه الاحداث ، الا ان موشيه شاريت ، وقد كان آنذاك وزيرا لخارجية اسرائيل ، اعلن من على منصة الخطابة في الكنيست بأن حكومة اسرائيل تتعقب بيقظة احداث سوريه ، وتتعقب بشكل خاص احداث جبل الدروز ، تلك الاحداث التي نالت من الطائفة الدرزية في اسرائيل •

واستمرارا لهذه السياسة اعلنت اسرائيل في سنة

١٩٥٧ [١٦] اعترافها بالدروز كطائفة دينية مستقلة ، وبعد ذلك بخمس سنوات أقرت الكنيست قانون المحاكم الدرزية لسنة ١٩٦٢ ، في محاولة استهدفت تنظيم الشؤون الدينية لهذه الطائفة ، ومساواتها بسائر الطوائف الاخرى في اسرائيل ، في الظاهر ، وفي الباطن اماطت اسرائيل عن نيتها المبيتة لخلق القومية الدرزية ، كقومية مميزة عن القومية العربية . ولما سئل وزير الداخلية عن تسجيل القومية الدرزية على بطاقات الهوية الخاصة بأبناء هذه الطائفة ، اجاب بأنه أقر هذا الامر تجاوبا لطلب رؤساء الدروز في اسرائيل [١٧] .

ونحن نشهد اليوم في اسرائيل اناسا من اليهود يميزون بين العرب والدروز فيقولون (القرى العربية والقرى الدرزية)، ويفعل مثلهم الناطقون الرسميون باسم الحكومة ، وكذلك الصحافة العبرية . وبلغ النفاق الى الدروز ذروته عندما ظهرت كراسة اعدت لتكون « كتاب قراءة خاص بالطلبة الدروز في الصفوف العليا من المدارس الابتدائية [١٨] » ووقع على النشرة الشيخ امين ظريف ، الرئيس الديني للطائفة الدرزية

---

(١٦) مجموعة القوانين ، المجلد ٦٩٥ ، تاريخ ١٩٥٧/٩/٢١ ، صفحة ١٢٨٠ .

(١٧) (كلمات الكنيست) ، المجلد ٣٥ ، صفحة ٥٢٧ ، تاريخ ١٩٦٢/١٢/١٩ .

(١٨) الكتاب السنوي لاسرائيل سنة ١٩٦٥ ، صفحة ٣١ .

في اسرائيل ، واشرفت ادارة الدعاية في مكتب رئيس الحكومة على تأليف هذه الكراسة ، وفيها ذكر ان مصاهرة كانت قائمة بين النبي شعيب ، الذي يجله الدروز بشكل خاص ، وبين النبي موسى الكليم ، وبموجبها تزوج النبي موسى بنت النبي شعيب • وقد استفزت هذه القصة غضب ابناء الطائفة الدرزية في اسرائيل ، اذ ان قضية زواج نبيهم شعيب باسرائيلية تناقض مبادىء عقيدتهم الدينية، وهي عقيدة تقول ان شعيبا بقي اعزب •

والحق يقال ان الدروز طائفة دينية عربية تأسست في نهاية القرن العاشر الميلادي وطقوسها الدينية مشابهة ، في اكثر تفاصيلها ، للديانة الاسلامية • وهذه الطائفة تشكل ، من وجهة قومية ، جزءا لا يتجزأ من الامة العربية • وتاريخها الحافل بالحرب ضد الاستعمار الفرنسي في سوريه في سني العشرين من هذا القرن ، ليس الا قسما من التاريخ العربي • والجدير بالذكر ان القسم الاعظم من المثقفين والشباب الدروز يستنكرون (خلق) هذه القومية الجديدة ، ويفخرون بانتسابهم الى الامة العربية •

ومهما يكن من امر ، فان خرافة (القومية الدرزية) لم تحصن الدروز من خطط سلب اراضيهم • فقد سلبت حكومة اسرائيل الاراضي الدرزية سلبها الاراضي العربية ، على حد

سواء . فمن ذلك ان ٢٥٠٠ دونم من اراضي قرية ساجور الدرزية ، و ٣٠٠٠ دونم من اراضي قرية حارفيش الدرزية ، و ٥٠٠٠ دونم من اراضي قرية بيت جان الدرزية ، وجميعها في الجليل . قد سلبت من اصحابها سكان هذه القرى الدرزية . ومن عجب ان قوة درزية من حرس الحدود منعت ، بالقوة ، ابناء عشيرتها من الدروز اصحاب هذه الاراضي المصادرة من الذهاب الى اراضيهم والتصرف بها .

وينبغي هنا ان نشير الى ان تدخل اسرائيل في شؤون الطائفة الدرزية قد تم نتيجة لخضوع زعماء هذه الطائفة التقليديين، لسلطات اسرائيل . وما هؤلاء الزعماء الا فريق من الجهلة والمرائين الذين يلبون طلبات الحكومة ، في حين ان الطائفة الدرزية بالذات لم تستفد شيئا من هذا الخضوع ، فالقسم الاعظم من قراها متأخر غاية في التأخر ، اذا ما قورن بسائر القرى العربية في اسرائيل . والجدير بالذكر ان السياسة الاسرائيلية هذه قابلها الشباب والمثقفون الدروز بمعارضة شديدة ، وهم ثائرون عليها ويطالبون بتغييرها ، باستمرار .

(٢)

التعليم

طرأت تطورات شتى على التعليم بين الاوساط العربية

في اسرائيل منذ قيامها . فلا يزال الخلاف قائما بين رجال التربية والتعليم العرب والسكان العرب ، من جانب . وبين حكومات اسرائيل المتعاقبة ، وخاصة وزارة التربية والتعليم، من جانب آخر .

وفي بعض النواحي طرأ تقدم على عدد التلاميذ العرب الذين يتعلمون في المدارس العربية الابتدائية في اسرائيل . وهذا التقدم لا يعد شيئا بالنسبة لما هو عليه في المدارس اليهودية . اذ ان اكثر من ثلث الاولاد العرب في سن التعليم الالزامي موجودون خارج المدرسة . ورغم ان المدارس الابتدائية قد فتحت في جميع القرى العربية ، حتى البعيدة منها ، بحيث انه في السنة الدراسية ١٩٦١ — ٦٢ وجدت في ١٣٥ قرية عربية ومختلطة ١٦٧ مدرسة عربية وروضة اطفال ، الا ان الفضل في هذا التقدم لا يعزى الى حكومة اسرائيل وحدها ، اذ انه الى جانب المدارس الحكومية الابتدائية المنتشرة بين العرب المقيمين في اسرائيل ، تقوم شبكة اخرى متشعبة من المدارس الطائفية والتبشيرية . وتتلقى هذه المدارس المساعدة المادية القليلة من وزارة التربية والتعليم ، وهي مستمرة في اداء رسالتها بمساعدات قوى مستقلة .

وبالاضافة الى هذا التقدم الذي طرأ على عدد التلاميذ

الذين يتعلسون في المدارس . فان الوضع التربوي لدى العرب في اسرائيل سلبي للغاية ، واسرائيل مسؤولة عن هذه السلبية . فمستوى التعليم في المدارس العربية فيها هو اكثر المستويات انخفاضا . ليس بالنسبة الى التعليم اليهودي في اسرائيل فحسب ، بل بالنسبة للتعليم في جميع دول الشرق الاوسط الان ، وبالنسبة ايضا للتعليم في فلسطين ابان الانتداب . وما اكثر الاسباب التي اوجدت هذا المستوى المنخفض . فالمدارس العربية في اسرائيل تعاني النقص الذريع في الابنية . والاجهزة ، والاثاث ، والكتب ، والمعلمين المحترفين . وكذلك برامج التعليم عرضة للتغيير من حين الى آخر .

وفيما يتعلق بالمعلمين فان النقص في عددهم كان ملموسا منذ السنين الاولى لقيام الدولة ، نتيجة لاجلاء خيرة المربين العرب عن فلسطين آنذاك ، وأخذ عشرات المعلمين غير المدربين محلهم ، في المدارس العربية . وباتساع هذه المدارس ، اضيف الى هيئتها التدريسية من سنة الى اخرى ، عدد معين من خريجي المدارس الثانوية ، الذين لم ينتخبوا على اسس الكفاءة والتفوق ، بل على اسس مستنكرة وعجيبة ، كاقرار الحاكم العسكري ووزارة الدفاع تعيينهم ، او محسوبيتهم على بعض العناصر المعروفة ، او قرابتهم العائلية . وفيما يلي جدول بعدد السكان والطلبة في اسرائيل ، يهودا وعربا :

السنة المدرسية	السكان في سن ١٤ ــ ١٥		الطلبة في المدارس الابتدائية ورياض الاطفال		النسبة المئوية	
	يهود	عرب	يهود	عرب	يهود	عرب
١٩٥٥/٥٦	٣١٦٠٠٩	٥٣٥٠٤	٢٨٨٨٧٦	٢٣٥٧٥	٩١ر٤	٤٤ر١
١٩٥٦/٥٧	٣٥١٥٧٨	٥٥٦٧٠	٣٢٥٩٤١	٢٦٥٣٨	٩٢ر٧	٤٧ر٦
١٩٥٧/٥٨	٣٩٠٠٨٤	٥٧٦٠٠	٣٥٩١٤٤	٢٨٢٦٩	٩٢ر١	٤٩ر١
١٩٥٨/٥٩	٤١٢٠٩٢	٥٩٠٠٠	٣٩٤٨٣٠	٣٠٣٩٣	٩٥ر٨	٥١ر٥
١٩٥٩/٦٠	٤٣٠٣٠٩	٦١٥٨٣	٤١٦١٩١	٣٢٦٦٤	٩٦ر٥	٥٣ر٠
١٩٦٠/٦١	٤٤٤٣٨٣	٦٣٢١٦	٤٣٣٣٤٣	٣٥٧٥٥	٩٧ر٥	٥٦ر٥
١٩٦١/٦٢	٤٥٥٤٢٠	٦٤٨٧١	٤٣٦٦٠٢	٣٩٢٧٥	٩٥ر٧	٦٠ر٥
١٩٦٢/٦٣	٤٧٤٦٣٤	٧٠٦٩٦	٤٤٥٦٩٩	٤٢٤٧٣	٩٣ر٩	٦٠ر١
١٩٦٣/٦٤	٤٨٩٢١٨	٧٥٧١٦	٤٥٩٨٠٤	٤٦٠٦٨	٩٣ر٩	٦٠ر٨

ولم تقم حكومة اسرائيل من جانبها بمحاولة جديـة تستهدف حل قضية المدارس وظلت مكتوفة الايدي مـدة طويلة، الى ان تكرمت في سنة ١٩٥٦ بفتح دار المعلمين العرب في يافا ، وهي دار اعدت لتدريب المعلمين والمعلمات، ومعلمات رياض الاطفال في المدارس الابتدائية . لكن هذه الدار لا تستوعب اكثر من خمسين معلما ومعلمة في السنة ، ولا يجد نصف خريجيها تقريبا عملا لهم في اسرائيل .

اضف الى ذلك ان المعلمين العرب في اسرائيل يواجهون تهديدا فظيعا بسبب حكم الارهاب والرعب الذي توجهه وزارة التربية والتعليم ضدهم، بحيث ان الاقالات، والاستغناء عن الخدمات تفرض عليهم ، لاسبـاب سياسية ، وتستغل حكومة اسرائيل الصعوبات الكثيرة التي يلاقيها المعلمون العرب في سبيل حصولهم على وظيفة وعجزهم عن العمل خارج نطاق التعليم فتوجه اليهم التهديد بنوع خـاص ، وتتخذ ضدهم الاجراءات الصارمة ، وتسهم الادارة العربية لنقابة المعلمين اليهود في تشجيع هـذا الجو الارهابي مع السلطات .

ويعتبر فقدان برامج التعليم الواضحـة والثابتـة ، والتغييرات الكثيرة التي تتعرض لها هذه البرامج ، سببا آخر لانخفاض مستوى التعليم في المدارس العربية . فمن ذلك انه

في سنة ١٩٥٢ لم تتمكن وزارة التربية والتعليم من تنقيح خطة جديدة لتعليم اللغة العربية الا للصفين الاول والثاني فقط . وبقيت سائر الصفوف تسير على ضوء البرنامج القديم . وبالنسبة للمدارس الثانوية فان برامجها تتغير بين الحين والاخر .

اضف الى ذلك ان المدارس العربية في اسرائيل تعاني نقصا ملموسا في كتب التدريس بحيث ان المعلمين والطلبة يضطرون الى استعمال الكتب القديمة او نسخ مادة التعليم من كتب يصعب الحصول عليها . ورغم ان تحسينا طرأ على هذا الوضع في المدارس الرئيسية الا ان حالةالنقص فيالكتب في المدارس الثانوية لا تزال قائمة . والمكتبة العربية في الدولة فقيرة جدا ، ليس في الكتب الدراسية فحسب ، بل في كتب المطالعة والثقافة العامة . وحتى نيسان (ابريل) ١٩٦٤ ظهر في اسرائيل ٢٧٠ كتابا باللغة العربية ، منها ٦٤ كتابا ألفه كتّاب مقيمون في اسرائيل : عربا ويهودا ؛ و ٢٠٦ كتب نشرت لاول مرة في الدول العربية واعيد طبعها في اسرائيل .

وثمة نقص آخر ذريع في الخرائط، وفي اجهزةالتوضيح في المختبرات .

وحالة المدرسة العربية في اسرائيل محزنة للغاية . والقسم الاكبر من مبانيها لا يصلح لرسالة المدرسة . فانها

ابنية قديمة متصدعة تحوي غرفا ضيقة ومظلمة • وتنقصها المنافع الصحية ، والساحات والملاعب المدرسية ، واثاثها هزيل وضنيل • ورغم ان القانون يعفي وزارة التربية والتعليم من تقديم الابنية والملاعب والاثاث للمدارس ، الا ان هـذا القانون يفرض على الدولة ان تقدم المساعدة القصوى لتوفير هذه المطالب • لكن وزارة التربية والتعليم تتعامى عن القيام بواجباتها هذه . بداعي انها لا تستطيع ان تقدم هذه المساعدة للقرى التي تنقصها سلطة محلية (كبلدية او مجلس محلي) ، في حين ان وزارة الداخلية لم تطبق نظام السلطات المحلية الا في ٤٠ ٪ من القرى العربية التي يعيش فيهـا ٦٠ ٪ من المواطنين العرب في اسرائيل • وموقف حكومة اسرائيل السلبي من تقديم المساعدة المالية للمدارس العربية لعب دوره في تردي المدرسة العربية : مبنى ، واجهزة ، واثاثا ، الى وضعها الرديء الحالي • وخلال خمس سنوات مالية خصصت الدولة ثلاثة ملايين ليرة اسرائيلية تقريبا لتطوير المدارس العربية في اسرائيل • ولسنا ندري مقدار ما استغل من هذا المبلغ ، ويجدر بنا ان نذكر ان هذا المبلغ يشكل قسما ضئيلا جدا من ميزانية وزارة التربية والتعليم التي ترقى الى عشرات الملايين من الليرات الاسرائيلية •

احدثت هذه العوامل تأثيرا سلبيا جدا على التعليم

العربي الثانوي في اسرائيل ، فـ كان في اسرائيل سنة ١٩٦٢/٦٣ عشر مدارس ثانوية عربية، يتعلم فيها جميعا ١٥٢٥ طالبا عربيا، مقابل ١٣٢ مدرسة يهودية ، تضم ٤١٤٢٥ طالبا يهوديا [١] . وهبوط مستوى التعليم الابتدائي العربي اوجد هبوطا آخر في مستوى التعليم العربي في المدارس الثانوية ، بحيث ان هذا الهبوط اثار القلق . وقد جاء في توصية لجنة التربيــة والتعليم التابعة للكنيست في تقريرها بتــاريخ ٢٤/١/١٩٦٢ « من واجب وزارة التربية والتعليم ان تبذل الجهد الخاص والعميق فتقدم المساعدة لرفع هذا المستوى الى درجة مقبولة » [٢] .

ودلت هذه النتائج على ان اكثر من ٨٥ ٪ من الطلبة العرب الذين تقدموا لامتحان الشهادة الثانوية العامة قد رسبوا ، وكذلك كانت نتائج الناجحين منهم في هذا الامتحان غير مرضية مطلقاه وفيما يلي جدول بالنسبة المئوية لهؤلاء الناجحين ، مستقاة من تصريح وزير التربية والتعليم في الكنيست [٣] ، بتاريخ ٢٧/٣/١٩٦٣ :

---

(١) الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل سنة ١٩٦٣ ، صفحة ٦٢٧ ، ٦٣٤ .

(٢) تقرير رقم ٣٣ ص ١٠٥٨ .

(٣) المجلد ٢٦ ص ١٦٦٨ .

السنة الدراسية	النسبة المئوية للناجحين
٥٨/١٩٥٧	٦ر٨
٥٩/١٩٥٨	٧ر٦
٦٠/١٩٥٩	٥ر٩
٦١/١٩٦٠	١ر١٣
٦٢/١٩٦١	٣ر١٠

وكذلك لا يمكن من مقـارنة حاملي شهادة الدراسة الثانوية العامة من الطلبة العرب ، بمن يقابلهم من الطلبة اليهود . وفيما يلي جدول آخر يرينا النسبة المئوية للفريقين مع ذكر السكان العرب واليهود ايضا :

السنة الدراسية	السكان		حاملو شهـادة الثانوية العامة	
	يهود	عرب	يهود	عرب
٥٥/١٩٥٤	١٢٥٢٦٠٩	١٩١٨٠٠	٢٥٢٠	٣٨
٥٦/١٩٥٥	١٥٩٠٥٠٠	١٩٨٥٥٦	٢٧٢٣	٩٦
٥٧/١٩٥٦	١٦٦٧٤٤٥	٢٠٤٩٣٥	٢٩٠٤	٧٧
٥٨/١٩٥٧	١٧٦٢٧٤١	٢١٣٢١٣	٢٦٩٨	٦٠
٥٩/١٩٥٨	١٨١٠١٤٨	٢٢١٥٢٤	٢٢٦٤	٢٨
٦٠/١٩٥٩	١٨٥٨٨٤١	٢٢٩٨٤٤	٢٦٨٥	٥٢
٦١/١٩٦٠	١٩١١١٨٩	٢٣٩١٦٩	٣٤٦٤	٩٤
٦٢/١٩٦١	١٩٣٢٣٥٧	٢٤٧١٣٤	٤٣٥٦	٧٥
٦٣/١٩٦٢	٢٠٦٨٨٨٢	٢٦٢٩١٩	٥٧٠٢	٧٦

والمعلومات في هذا الجدول مستقاة من كتاب الاحصاء السنوي لاسرائيل من سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٤ .

وقد احدثت هذه النتائج تأثيرا متناهيا في الضرر بالنسبة للمجتمع العربي بحيث ان البطالة واليأس قد تفشيا بين الشباب العربي المثقف . وكذلك احدث هذا الوضع تأثيرا على التعليم العربي العالي ، بحيث ان ١٧١ طالبا عربيا فقط ، من مجموع سكان عرب ينيف على ربع مليون مواطن، يتعلمون تعليما جامعيا ، مقابل ١٤ ألف طالب يهودي جامعي. ومن اجل ذلك لا ينبغي ان نعجب اذ نرى السكان العرب المقيمين في اسرائيل قد انقلبوا الى جماعة من العمال او اصحاب المهن المختلفة ، وهم يقاسون من نقص الجامعيين بينهم .

وفي مجالات التعليم العربي الاخرى لا نشهد وضعا تطمئن اليه النفس مطلقا . ففي سنة ١٩٦٣/٦٤ كان لدى العرب مدرستان للاولاد العمال ، وفيهما تعلم ١٠٥ طلاب ؛ مقابل ١٤٠ مدرسة كهذه لدى اليهود ؛ تعلم فيها ٥١٣٨ طالبا ، واربع مدارس مهنية عربية ، فيها ١٦٦ طالبا مقابل ١٣٨ مدرسة مهنية يهودية فيها ٢١١١١ طالبا يهوديا، ومدرسة زراعية عربية واحدة فيها ٥١ طالبا عربيا ، مقابل ٤١ مدرسة زراعية يهودية فيها ٧٣٠٩ طلاب يهود ، ودار واحدة للمعلمين فيها ١٠٤ طلاب ؛ يقابلها ٤٢ دارا للمعلمين اليهود و ٧٥٧٥ طالبا يهوديا .

ولا تستطيع حكومة اسرائيل ان تتنصل من مسؤوليتها عن هذا الوضع الذي تردى اليه التعليم العربي في البلاد . فهي المسؤولة عن قبول عشرات المعلمين غير المحترفين في المدارس العربية ، وابقائهم في مناصبهم خلال السنين الطويلة، دون ان تمكنهم من الحصول على شهادات تعليمية . وكذلك لا تستطيع هـذه الحكومة ان تتنصل من انهـاء خدمات العشرات من المعلمين المحترفين ، لاسباب سياسية . وهذه الحكومة مسؤولة ايضا عن احجامها عن بذل اي جهد جدي في سبيل تلبية الطلبات الملحة للمدارس العربية بشأن تجهيزها بالمعلمين المحترفين . وهي مسؤولة ايضا عن عدم وضعهـا برامج تعليمية ثابتة ، مسؤوليتها عن تعرض هذه البرامج للتغيير والتبديل والازعاج ، الفينة تلو الفينة ، وخصوصا قبل امتحانات الشهادة الثانوية العامة . وهي المسؤولة عن النقص الذريع في كتب التدريس في المدارس العربية لاطول فترة مستمرة . وليس في دولة اسرائيل نقص في القوى اللازمة لتأليف كتب تدريس باللغة العربية ، سواء كان المؤلفون من بين العرب المقيمين في اسرائيل ، ام من بين اليهود الذين هاجروا اليها من البلاد العربية . ولو ان هذه القوى كانت منعدمة ، لامكن ترجمة بعض الكتب المقررة في المدارس اليهودية ، او ترجمة كتب غيرها من اللغـات الاجنبية ، او اعادة طبع كتب تدريس عربية صادرة عن

البلاد العربية المجاورة بدون اذن كما فعلت الهستدروت عندما طبعت بعض القصص العربية • وبالمناسبة فان كتاب (انا احيا) للاديبة اللبنانية ليلى بعلبكي الذي اعيد طبعه بهذه الطريقة ، وباشتراك وزارة التربية والتعليم ونقـابة المعلمـين ، صودر من الاسواق بعد ان تبين ، في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٠ ، بأنه يحوي مواد لاذعـة معـادية لليهودية •

وقد اشارت لجنة التربية والتعليم والثقافة التـابعة للهستدروت الى حالة النقص في كتب التدريس في المدارس العربية في تقريرها ، في المجلد ٣٣ من وقائع الكنيست، صفحة ١٠٥٨ تاريخ ١٩٦٢/١/٢٤ ، وطالبت وزارة التربية والتعليم ببذل اقصى الجهد للتغلب على هذا النقص • والى حالة النقص في الكتب المدرسية عزت اللجنة تأخر التعليم بين العرب المقيمين في اسرائيل •

ويعزى اهمال الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة للتعليم بين العرب الى خطة مدبرة تستهدف تحويل القسم الاعظم من الطلبة العرب الى جماعة من الجهلة او اشباه الجهلة ، والى انقاص الوعي القومي بين العرب المقيمين في اسرائيل ، والى جعلهم في ريب من انفسهم بصدد قوميتهم ، والى ايجاد حالة من البلبلة في افكارهم امام المجتمع اليهودي • والحق

يقال ان نسبة مئوية كبيرة من خريجي المدارس العربية الابتدائية يقرأون ويكتبون اللغة العربية بصعوبة، رغم انهم رضعوا لبان العروبة . وقد حذفت من البرامج التعليمية في المدارس العربية قطع كبيرة من القصائد العربية المشهورة والانتاج العربي الذي كان لقاح عقول الشعراء والكتّاب العرب المشهورين في تاريخ الشعوب العربية ، وحل محلها قطع ادبية مبتذلة ضعيفة لكتّاب مغمورين. اضف الى ذلك ان تعليم التوراة الزامي في المدارس الثانوية العربية في حين ان الديانتين الاسلامية والمسيحية لا تدرّسان مطلقا. وكذلك لا تدرّس بعض السور من القرآن الكريم في المدارس الابتدائية العربية . وكذلك حرّمت وزارة التربية والتعليم تدريس سورة الممتحنة من القرآن الكريم في مدارس اليهود، لان الآيتين الثامنة والتاسعة منها حوتا الحث على الجهاد ضد الذين قاتلوا المسلمين في دينهم واخرجوهم من دينهم وساعدوا على اخراجهم ... الخ .

واعجب من ذلك موقف وزارة التربيـة والتعليم في المدارس العربية وهو موقف يستهدف بلبلة الاجيال العربية الناشئة في اسرائيل ، عن طريق تزييف تاريخ الشعوب العربية، وتمثيله وكأنه سلسلة من الانقلابات ، وعمليات القتـل ، والخصومات ، والسلب والنهب ، بشكل رمى الى انقاص المكاسب والانتصارات العربية خلال الاجيال ، مقابل تعظيم

التاريخ اليهودي وتوسيعه ، وصبغه بألوان كأنها قطع الورد.

ونظرة عابرة الى برامج التعليم الرسمية التي وضعتها وزارة التربيـة والتعليم والثقافة ترينا هـذه الاهداف . فقـد خصصت عشر ساعـات لدروس تـاريخ العبرانيين في الصف الخـامس الابتدائي مقـابل خمس ساعـات لدراسة شبه الجزيرة العربية ، وخصص للتاريخ الاسلامي في الصف السادس ٣٦ حصة من بين ٦٤ حصة للتاريخ العربي كله من اوله حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ، مع الاشارة الى الطبيب اليهودي موسى بن ميمون الذي عاش في عصر صلاح الدين الايوبي وابن جبيروت الشاعر اليهودي الاندلسي . ولا يدرّس التاريخ العربي في الصف السابع الابتدائي مطلقا ، في حين ان سدس السنة الدراسية مكرّس للعلاقات القائمة بين الجاليات اليهودية في الخارج وارض اسرائيل ، وان عشر حصص قد خصصت للصف الثـامن والاخير في المدارس الابتدائية العربية لدراسة التـاريخ العربي ابتداء من القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا ، مقابل ثلاثين حصة لدراسة تاريخ دولة اسرائيل . ويلاحظ اذن ان الطالب العربي لا يعرف شيئا عن تاريخ العروبة من اوائل القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر . ومن برامج التعليم في الصف الثامن تأزم العلاقات الطائفية في سوريه ولبنان ، والخصومة بين الدروز والموارنة في سنة ١٨٦٠ .

وليس الوضع بالنسبة لتعليم التاريخ العربي في الصفوف الثانوية العربية بأحسن منه حالا في الصفوف الابتدائية . فخلال السنوات الثانوية الاربع في هذه المدارس خصصت للتاريخ العربي ٣٢ حصة فقط ، وحذف منه تاريخ الفتح العربي للاندلس والمدنية العربية التي اضاءت تلك البلاد خلال الحكم العربي الذي امتد الى ٧٠٠ سنة فيها . ومقابل ذلك شملت دراسة التاريخ اليهودي هنا ٣٨٤ حصة .

وأنكى من ذلك كله الاسئلة المقدمة للتلاميذ في امتحان الدراسة الثانوية العامة : فبينما تبدو الاسئلة المتعلقة باليهود متراصة واسعة، متناهية بالجدية، ومن وراءها الخط السياسي الرسمي لحكومة اسرائيل ، تكون الاسئلة المتعلقة بالتاريخ العربي مجرد فوازير، تبرز فيها الحركات المبتذلة والخصومات على انواعها في العالم العربي ، وتعير اهتماما كبيرا لدور الانحطاط في التاريخ العربي ، وتتعامى عن جميع الزعماء الذين ابرزوا شخصية الامة العربية ، خلال الاجيال . فمن ذلك ان لا يسأل الطالب العربي في هذه الامتحانات عن النبي محمد (صلعم) ابدا ، ولا عن الخليفة هارون الرشيد ، ولا عن الخليفة معاوية ، ولا عن صلاح الدين ، وهم من اعاظم الرجال في تاريخ الشعوب العربية .

وتتجلى النية المبيتة لتهويد الجيل العربي الصاعد ، بأوضح مظهر لها ، في برنامج تعليم اللغتين العبرية والعربية .

ففي الوقت الذي يتضمن منهاج تعليم اللغة العربية فقرة واحدة فقط بالنسبة لاهداف تعليم اللغة العربية نجد از منهاج تعليم اللغة العبرية يتضمن ثلاث فقرات تتحدث عن اهدافه ، وتتضمن الفقرة الاخيرة « ان اللغة العبرية تدرّس وفقا لمنهاج ثابت مستقيم في المدارس العربية من الفصل الرابع » . وتتجه النية الى التوصية بتعليمها ابتداء من الصف الاول الابتدائي ، واحيانا من رياض الاطفال ، وذلك عن طريق الاناشيد والالعاب والاعياد . ويبدو ان واضع هذا البرنامج اراد ان يستمر في الحديث فأجاز امكانية تعليم العبرية في ظروف معينة بحيث تحل محل اللغة العربية .

والى الموقف السلبي الذي تقفه حكومة اسرائيل من التعليم العربي في اسرائيل اشار اورى لوبراني المستشار السابق لرئيس حكومة اسرائيل للشؤون العربية عندما صرح لصحيفة (هآرتس) بتاريخ ١٩٦١/٤/٤ قائلا : « لو لم يكن ثمة طلبة لكان الوضع خيرا وأبقى . ولو ان العرب ، بقوا حمالي حطب ، لربما كان اسهل لنا ان نتحكم فيهم . لكن ثمة امورا غير مرتبطة بالرغبة . ولا مناص من ذلك ، والامر يتطلب كتابة نص المشورة فقط ، والاحاطة علما بطريقة معالجة القضايا » .

مما تقدم يتضح ان مستشار رئيس الحكومة للشؤون

العربية يود لو يكون العرب المقيمون في اسرائيل (حمالي حطب) • ولكن ثمة امورا غير مرتبطة بالرغبة ، وما اكثر الجهود التي بذلتها الحكومات الكثيرة في الفترات المختلفة ، في سائر ارجاء المعمورة ، لمحو قومية الشعوب الاخرى • فمن الواجب ان نحاط علما بالنتائج ، وان نتعظ •

(٣)

الزراعة

يعتبر المجتمع العربي في اسرائيل ، سواء في فترة الانتداب ، أم في فترة ما بعد قيام الدولة ، مجتمعا زراعيا من اساسه • ورغم جميع التغييرات التي طرأت في السنوات الاخيرة على شكل هذا المجتمع عن طريق الهجرة من القرية الى المدينة ، ورغم هجر الشباب العرب لمهنة الزراعة ، فان المظهر الزراعي لهذا المجتمع ما فتىء مسيطرا ، وان قسما كبيرا من السكان العرب في اسرائيل ما يزال يعمل في الزراعة ويعيش عليها • وقد تكدست عثرات كثيرة في طريق تطوير الزراعة العربية، فصودرت عشرات الالوف من خيرة الاراضي العربية الزراعية ، وحرم المزارعون العرب والزراعة العربية من الآلات الزراعية المناسبة ، ورسمت لذلك خطة سياسية متعسفة ، خصوصا في مجال تسويق منتجاتهم الزراعية ، وكل ذلك معا انقص من قدر هذه المهنة ، وقلل من قيمتها •

وفي اسرائيل ١٧١٧٢٩٠ عربيا يعيشون في ١٠٤ قرى ويملك ٩٥٤٠٦ أشخاص من هؤلاء (او ٥٥ر٥ ٪) ارضا زراعية خاصة بهم ، بمعنى ان نصف السكان القرويين العرب المقيمين في اسرائيل لا ارض لهم ، وهم يعيشون على اعمالهم الاخرى الكثيرة داخل القرية وخارجها .

وفي السنوات الاولى لقيام اسرائيل ، اتخذت حكومتها سلسلة من الاجراءات التعسفية التي استهدفت تطوير الزراعة اليهودية ، وتوسيعها ، وتقويتها على حساب الزراعة العربية. وبدافع هذا القصد الواضح ، وضعت اسعـار متدنية في الانخفاض للمحاصيل الزراعية العربية بالنسبة الى مثيلاتها من المحاصيل اليهودية ، بحيث ان تسويق المحاصيل الزراعية اصبح متناهيا في الصعوبة، وتحتكره شركات استغلالية تكره العربي ، خلافا لاي قانون ، ان يبيعهـا محاصيله بأسعار منخفضة . واشهر شركة في هذا المجال هي شركة (بستان الجيل) ، وقد تأسست في اغسطس (آب) ١٩٥١ ، وكانت فرعا لشركة (تنوفا) الصهيونية .

ومثل هذا الموقف السلبي اتخذ ايضا بالنسبة لتزويد الحقول العربية بالماكينات الزراعية ، حيث تتكدس صعوبات اخرى امام المزارعين العرب الذين يودون لو يتملكون آلة زراعية حديثة . وقد عمد وزير المالية الى التظاهر بالدهشة والشك من محاولات العرب لتحسين زراعتهم ووضعها على

اساليب عصرية . لكن الزراعة العربية ، بالفعل ، متأخرة كثيرا عن الزراعة اليهودية ، اذ انه في سنة ١٩٦١/٦٢ كان لدى المزارعين العرب ٢٥٠ آلة زراعية ، وعددهم ٢٥ ألف مزارع يشكلون ٥٠ ٪ من الممولين العرب في الدولة . مقابل مئات التراكتورات وآلات الحراثـة الحديثة على اختلاف انواعها لدى المزارعين اليهود ، كما جاء في الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لسنة ١٩٦٢ صفحة ٢٢٢ .

وكذلك تعتبر المساعدة التي تقدمها حكومة اسرائيل للزراعة العربية صفرا بالنسبة لتلك المقدمة للزراعة اليهودية. وعلى الصفحة التالية جدول يرينا مبالغ القروض الزراعية للفلاحين العرب خلال ثلاث سنوات مالية متعاقبة ، كما جاءت في التقرير السنوي لمراقب اموال الدولة ، رقم ١٣ ، تاريخ ١٥/٢/٦٣ ، صفحة ١٠٨ .

ويقابل هذه المبالغ الهزيلة عشرات الملايين من الليرات الاسرائيلية التي اعطيت للزراعـة اليهوديـة ، كقروض ، ومساعدات . كذلك نلاحظ قلة عدد المزارعين العرب الذين افادوا من هذه القروض في حين ان المئات من الفلاحين العرب في اسرائيل محتاجون الى المساعدة .

هذا والطريقة التي بموجبها تصرف هـذه القروض تقيم الدليل على اهمال حكومة اسرائيل للزراعة العربية ،

السنة المالية	المبلغ المقرر في الميزانية بالليرة الاسرائيلية	مبالغ القروض المقررة من الميزانية الحالية		المجموع العام بالليرة الاسرائيلية	عدد القروض الممنوحة
		من الميزانية الحالية	من ارصدة سابقة		
٦١/١٩٦٠	٥٠٠ر٠٠٠	٣٦٢ر٠٥٠	٣٤٦ر٢٥٥	٧٠٨ر٣٠٥	٧١
٦٢/١٩٦١	٤٠٠ر٠٠٠	٣٨٥ر٢٦٠	٥٧ر٩٧٥	٤٤٣ر٢٣٥	٥٤
٦٣/١٩٦٢	٧٥٠ر٠٠٠	٥٩٦ر٦٢٠	٢٥ر٨٠٠	٦٢٢ر٤٢٠	٤٤

اذ ان وزارة الزراعة ، باعدادها ميزانيتها السنوية ، لا ترسم خطة مفصلة لتطوير الزراعة العربية ، ولا توضح الغايات التي ستنفق الاموال المقررة من اجلها ، بل انها تكتفي بتقدير مبلغ سنوي عام للزراعة العربية • وفي كثير من الحالات لم يحوّل مكتب القروض الزراعية طلبات الفلاحين العرب للحصول على قرض الى المكتب الرئيسي في القدس (المحتلة) ، وفي حالات اخرى كانت تنقضي سنة كاملة ، فينتهي الموسم الزراعي قبل ان يحصل الفلاح العربي على القرض المقرر ، رغم ان معاملته كانت قد انتهت •

ويواجه المزارعون العرب اجحافا آخر في اسعار منتجاتهم الزراعية بالنسبة للمنتجات الزراعية العربية ، وفي جميع فروع الانتاج الزراعي العربي ، وخاصة في تسويق التبغ وزيت الزيتون ، وهما محاصيل زراعية اصيلة • ويأتي هذا الاجحاف عن طريق الزام المزارعين العرب على بيع محاصيلهم من التبغ لشركات يهودية محتكرة ، بأدنى سعر ، في حين ان شركات خاصة اخرى تبتاع الكمية نفسها من محاصيل التبغ اليهودية بأعلى سعر • ولا يكتفى بهذا ، بل ان الشركة تحتجز ثلث ثمن المحاصيل العربية من التبغ لسنة ما الى ان يتعهد الفلاح العربي لها ببيعها محاصيله الزراعية من التبغ للسنة التي تليها ، وهكذا دواليك • وبهذه الطريقة شل الانتاج العربي الزراعي للتبغ شللا كاملا •

اما زيت الزيتون العربي فقد كانت اسعاره خاضعة للمراقبة الحكومية المباشرة حتى سنة ١٩٥٥ .

ونرى هذا الاجحاف بارزا في سائر المحاصيل الزراعية العربية الاخرى : فسعر الطن الواحد من الشعير كان ٣٢ ليرة اسرائيلية ، بينما بيع الطن الواحد من الشعير اليهودي بـ ٣٨ ليرة إسرائيلية في سنة ١٩٤٨/٤٩ ، وبيع الطن الواحد من الشعير العربي بـ ٢١٥ ليرة اسرائيلية في سنة ١٩٦١/٦٢ . بينما بلغ سعر الطن الواحد من الشعير اليهودي ٢٢٥ ليرة اسرائيلية آنذاك . وبالنسبة للقمح فان سعر الطن الواحد العربي منه بيع في سنة ١٩٤٨/٤٩ بمبلغ يتراوح بين ١ر٤٨ و ١ر٥٥ من الليرات الاسرائيلية للطن الواحد لكنه ما فتيء ان ارتفع سعره الى ٢٣٠ و ٢ر٢٤٦ من الليرات الاسرائيلية في سنة ١٩٦١/٦٢ ، كما جاء في الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لسنة ١٩٦٣ ، صفحة ١٣٤ – ٢٣٧ وصفحة ٢٤٠ – ٢٤٣ .

ونتكلم الان بلغة الارقام فنورد في الجدولين التاليين بيانا يري المحاصيل السنوية للتبغ والزيت لدى العرب واليهود ، والفرق الفاحش في سعريهما . ومعلومات هذين الجدولين مستقاة من الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لسني ١٩٥٨/٥٩ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ .

جدول بالمنتجات الزراعية للتبغ وقيمتها بالليرات الاسرائيلية

السنة	المحاصيل بالاطنان		القيمة بالوف الليرات		سعر الطن الواحد		زيادة السعر لليهود
	يهودية	عربية	لليهود	للعرب	لليهود	للعرب	للطن الواحد
٥٠/١٩٤٩	٣٤	١٤٥٠	١٧	٦٧٢	٥٠٠	٤٦٣	٣٧
٥١/١٩٥٠	١٠٥	١٨٠٠	١٥٨	١٥٣٠	١٥٠٥	٨٥٠	٦٥٥
٥٢/١٩٥١	٢٣٠	٢٤٥٠	٥٢٨	٢٧١٧	٢٣٢٩	١١٠٩	١٢٣٠
٥٣/١٩٥٢	١٥٠	١٦٥٠	٣٤٥	٢٠٦٣	٢٣٠٠	١٢٥٠	١٠٥٠
٥٤/١٩٥٣	١٥٠	٢٩٠٠	٣٢٥	٣٤٨٠	٢١٦٦	١٢٠٠	٩٦٦
٥٥/١٩٥٤	١٨٥	٢١٥٠	٤٠٣	٢٧٥٢	٢١٧٨	١٢٨٠	٨٩٨
٥٦/١٩٥٥	٢٢٥	١١٥٠	٥٠٥	١٥٠٦	٢٢٤٤	١٣٠٠	٩٤٤
٥٧/١٩٥٦	٢٦٠	١٥٠٠	٥٩٠	٢٠٦٣	٢٢٦٩	١٢٧٥	٨٩٤
٥٨/١٩٥٧	٢٢٥	١٢٥٠	٦٢٣	١٦٥١	٢٧٦٨	١٣٢٠	١٤٤٨
٥٩/١٩٥٨	٣٠٠	٢١٠٠	٧٤٥	٢٨٥٦	٢٤٨٢	١٣٦٠	١١٢٣
٦٠/١٩٥٩	١٩٠	١٥٥٠	٥٣٢	٢٢٦٣	٢٨٠٠	١٤٦٠	١٣٤٠
٦١/١٩٦٠	٣٢٠	٣٠٠٠	٨٦٧	٣٢٢٤	٢٧٠١	١٦١٢	١٠٨٩
٦٢/١٩٦١	٢٨٥	١٩٥٠	٩٢٢	٣٨٥٥	٣٢٣٥	١٩٧٧	١٢٥٨

جدول بالمحاصيل الزراعية للزيت وقيمتهـا بالليرات الاسرائيلية

السنة	المحاصيل بالاطنان يهودية	عربية	القيمة بالوف الليرات لليهود	للعرب	سعر الطن الواحد لليهود	للعرب	زيادة السعر لليهود للطن الواحد	النسبة المئوية للزيادةاليهودية للطن الواحد
٤٩/١٩٤٨	٣٨٠٠	٦٩٠٠	٣٤٩	٤٨٣	٩١ر٨	٧٠ر٠	٢١ر٨	١ر٣٠
٥٠/١٩٤٩	١٤٠٠	٢٤٠٠	٢٣١	٢٤٤	١٧٠ر٠	١٠١ر٧	٦٨ر٣	١ر٦٧
٥١/١٩٥٠	٩٥٠	١٧٥٠	٢٧٥	٣٤٠	٢٨٩ر٥	١٩٤ر٣	٩٥ر٢	٤٩ر٠
٥٢/١٩٥١	٣٠٥٠	١١٤٥٠	٨٤٤	١٨٣٦	٢٧٦ر٧	١٦٠ر٣	١١٦ر٤	٧٢ر٦
٥٣/١٩٥٢	٣٤٠٠	١٠١٠٠	٧٧٩	٢١٠٧	٢٢٩ر١	٢٠٨ر٦	٢٠ر٥	٩ر٨
٥٤/١٩٥٣	٥٢٠٠	١٦٣٠٠	١٢٢٤	٣٤٣١	٢٣٥ر٠	٢١٠ر٤	٢٤ر٦	١١ر٧
٥٥/١٩٥٤	١٠٠٠	١٨٠٠	٥١٨	٧٢٥	٥١٨ر٠	٤٠٢ر٧	١١٥ر٣	٢٨ر٣

٥٦/١٩٥٥	٧٠٠٠	١٨٠٠٠	٢٥٠٨	٥٠٧١	٣٥٨٫٣	٢٨١٫٦	٧٦٫٧	٢٧٫٢
٥٧/١٩٥٦	٢٥٠٠	٤٥٠٠	١٢٣٩	١٥٩٤	٤٩٥٫٦	٣٥٤٫٢	١٤١٫٤	٣٩٫٩
٥٨/١٩٥٧	٤٩٠٠	١٣٠٠٠	٢١٧٨	٣٦٠٧	٤٤٤٫١	٢٧٧٫٥	١٦٦٫٦	٦٠٫٠
٥٩/١٩٥٨	٤٠٠٠	٤٠٠٠	٢١٢٥	١٤٦٤	٥٣١٫٣	٣٦٨٫٠	١٦٣٫٣	٤٤٫٣
٦٠/١٩٥٩	١٦٠٠	٥٢٠٠	١١٤٨	٣٠١٥	٧١١٫٣	٥٧٩٫٨	١٣١٫٥	٢٢٫٧
٦١/١٩٦٠	٥٦٠٠	١٥٢٠٠	٣٤٠٣	٤٩٣٠	٦٠٧٫٦	٣٢٤٫٣	٢٨٣٫٣	٨٧٫٣
٦٢/١٩٦١	١٩٠٠	٢٩٠٠	١٧٥١	٢٠٨٠	٩٢١٫١	٧١٧٫٢	٢٠٣٫٩	٢٨٫٤
٦٣/١٩٦٢	٤٨٠٠	٨٢٠٠	٤٢٣٥	٤٩٠٦	٨٨٢٫٣	٥٩٨٫٣	٢٨٤٫٠	٤٧٫٤

وهذه الفروق بالاسعار ، مضافا اليها ميزات اخرى كميزة استعمال الآلات الزراعية في الحقول اليهودية وتقديم المساعدات المالية الشتى للزراعة اليهودية ، واتساع مساحة الاراضي اليهودية المسقية ، التي تؤلف ٣٠ ٪ من الاراضي الزراعية اليهودية مقابل ٣ ٪ من الاراضي العربية ، كما هو موضح بالجدول المنشور على الصفحة التالية ، كل ذلك معا اوجد فوارق كبيرة جدا بالنسبة لمحاصيل الدونم الواحد من الارض العربية واليهودية .

وقد ارتفع الفرق في سنة ١٩٥٠/٥١ للدونم الواحد في المحاصيل الزراعية اليهودية عما هو عليه في المحاصيل الزراعية العربية الى ١٨٦ ٪ ، وفي سنة ١٩٥٤/٥٥ الى ٣٠٨ ٪ ، وارتفع في سنة ١٩٥٧/٥٨ الى ٥٥ ٪ ، وفي سنة ١٩٦٢/٦٣ الى ٣٨٧ ٪ . وتأتت هذه الفروق عن اسباب كثيرة اهمها ان الزراعة العربية ما فتئت تسير على الاساليب القديمة الاولية ، وان ثلثي الاراضي الزراعية العربية تقع في مناطق جبلية وعرة تصعب حراثتها . ويتضح ان هذه الفروق احدثت تأثيرا كبيرا على مستوى المعيشة لدى قسم كبير من السكان العرب في اسرائيل الذين يعيشون على الزراعة ، ولادراك مدى هذا التأثير عليهم يجدر بنا ان نذكر ان زهاء

السنة	الاراضي الزراعية اليهودية بآلاف الدونمات			الاراضي الزراعية العربية بآلاف الدونمات		
	المجموع	الاراضي الري	النسبة المئوية	المجموع	الاراضي الري	النسبة المئوية
٥١/١٩٥٠	٢٧٠٥	٤٦٤	١٧ر٠	٦٤٥	١٠	١ر٥
٥٢/١٩٥١	٢٩٨٥	٥٣٩	١٨ر٦	٦٨٠	١١	١ر٦
٥٣/١٩٥٢	٢٩٦٠	٦٢٨	٢١ر٥	٥٩٠	١٢	٢ر٠٠
٥٤/١٩٥٣	٢٩٤٠	٧٤٥	٢٨ر٧	٦٢٠	١٥	٢ر٤
٥٥/١٩٥٤	٢٩٦٥	٨٧٣	٢٩ر٤	٦٣٥	١٧	٢ر٧
٥٦/١٩٥٥	٣٠٣٠	٩٤٦	٣١ر٢	٦٥٥	١٩	٢ر٩
٥٧/١٩٥٦	٣١٤٥	١٠٧٩	٣٤ر٢	٦٧٥	٢١	٣ر١
٥٨/١٩٥٧	٣٢٤٠	١١٦١	٣٥ر٨	٧٠٠	٢٤	٣ر٢
٥٩/١٩٥٨	٣٣٥٠	١٢٠٩	٣٦ر١	٧٥٥	٢٦	٣ر٤
٦٠/١٩٥٩	٣٣٣٠	١٢٧٧	٣٨ر٣	٧٤٥	٢٨	٣ر٣
٦١/١٩٦٠	٣٢٦٥	١١٣١	٤٠ر٩	٨٨٥	٢٩	٣ر٣
٦٢/١٩٦١	٣١٨٠	١٣٨٥	٤٣ر٥	٨٥٠	٣٠	٣ر٦
٦٣/١٩٦٢	٣١٤٥	١٤٣٤	٤٥ر٥	٨٢٠	٣١	٣ر٨
٦٤/١٩٦٣	٣٤٦٠	١٥١٨	٤٣ر٩	٨٩٠	٣٢	٣ر٦

٤٠ ./ من المتمولين العرب في اسرائيل يعملون في الزراعة .
فغير عجيب اذن ان نرى ان وضع الزراعة العربية في اسرائيل يسير من سيء الى اسوأ تدريجيا ، وان الدخل من هذا المجال الاقتصادي الحيوي آخذ بالهبوط تدريجيا ، ونزوح القرويين العرب الى المدن وهجرهم الزراعة آخذ بالازدياد ، بحيث ان النسبة المئوية للمزارعين العرب في اسرائيل كانت ٥٧٫٩ ./ من مجموع اصحاب المهن العربية في اسرائيل في سنة ١٩٥٤ ، ثم ما فتئت ان هبطت الى ٥٤٫٦ ./ في سنة ١٩٥٦ ، والى ٥٣٫١ ./ في سنة ١٩٦٢ .

وهذه النتائج تشهد بوضوح على النجاح الباهر الذي حققته الخطط التي رسمتها حكومة اسرائيل لتحويل الجماهير العربية في اسرائيل عن الالتصاق بأراضيهم ، فقلبتهم الى جماعات من العمال ، مستهدفة افساح المجال لمشاريع انشاء المستعمرات اليهودية الجديدة في جميع ارجاء اسرائيل .

وعلى الصفحة التالية جدول يرينا مساحات الاراضي العربية واليهودية المزروعة وتقدير محاصيلها الزراعية عامة ، وبالنسبة للدونم الواحد خاصة ، والفرق بين المحاصيل اليهودية والعربية :

مساحة الاراضي الزراعية المحروثة وتقدير الانتاج الوطني

السنة	المساحة المحروثة بآلاف الدونمات		تقديـر الانتـاج الزراعي بآلاف الليرات الاسرائيلية		محصـول الدونم الواحد بالليرات الاسرائيلية	
	يهود	عرب	يهود	عرب	يهود	عرب
٥١/١٩٥٠	٢٧٠٥	٦٤٥	٦٥١٧٢	٥٧٩٨-	٢٤٫٠٩	٨٫٩٩
٥٢/١٩٥١	٢٨٩٥	٥٨٠	١٣٧٨٦٠	١٧١١٣	٤٧٫٢٧	٢٨٫٥١
٥٣/١٩٥٢	٢٩٦٠	٥٩٠	٢٠٢٨٣٤	٢٠٤٦٨	٦٨٫٥٢	٣٤٫٦٩
٥٤/١٩٥٣	٢٩٤٠	٦٢٠	٣٠٣٢١٦	٢٨٥٤٧	١٠٣٫١٣	٤٦٫٠٤
٥٥/١٩٥٤	٢٩٦٥	٦٢٥	٣٥٣٢٣٧	٢٤١٦٨	١١٩٫١٣	٣٨٫٦٧
٥٦/١٩٥٥	٣٠٣٠	٦٥٥	٤٤٥٠٩٩	٣٧٦٠٤	١٤٦٫٩٠	٥٧٫٤١
٥٧/١٩٥٦	٣١٤٥	٦٧٥	٥٣٧٤٠٨	٣٩١٩٩	١٧٠٫٨٨	٥٨٫٠٧
٥٨/١٩٥٧	٣٢٤٠	٧٠٠	٦٤١٩٨١	٣٩٥٠٠	١٩٨٫١١	٥٦٫٤٣
٥٩/١٩٥٨	٣٣٥٠	٧٥٥	٦٧١٢٤٥	٤١٧٦٧	٢٠٠٫٣٦	٥٥٫٣٢
٦٠/١٩٥٩	٢٣٣٠	٧٤٥	٧٠٩١٤٩	٤٠٦١٥	٢١٢٫٩٦	٥٤٫٥٢
٦١/١٩٦٠	٣٢٦٥	٨٨٥	٨١٣٧٠٨	٥١٠٥١	٢٤٩٫٢٢	٥٧٫٦٨
٦٢/١٩٦١	٣١٨٠	٨٥٠	٩١٤٠٦٦	٥١٠٩٤	٢٨٧٫٤٤	٦٠٫١١
٦٣/١٩٦٢	٣١٤٥	٨٢٠	١٠٩٧٧٣٢	٥٨٧٧٧	٣٤٩٫٠٤	٧١٫٦٧

(٤)

العمل والعمال

لم يكن العمال العرب منظمين في فلسطين ابان الانتداب تنظيما حقيقيا ، بل كان ثمة منظمات موزعة الى فئات قليلة من العمال ، شملت عمال بعض الدوائر الحكومية • اما المنظمات العمالية العربية التي كانت تدّعي انها منظمات عامة وشاملة فقد انحلت في كثير من الاحيان، بعد نشاط قصير ، في حين ان المنظمات العمالية اليهودية وفي طليعتها الهستدروت، وهي النقابة العامة للعمال اليهود ، فقد ازدادت قوة ، سنة بعد سنة •

كذا كان الوضع في سنة ١٩٤٨ ، عشية قيام دولة اسرائيل • فان المنظمة العمالية العربية الوحيدة ، التي ظلت قائمة بعد قيام اسرائيل ، كانت مؤتمر العمال العرب ، وهو متشعب عن رابطة العمال العرب الفلسطينيين • وقد توقفت هذه المنظمة عن العمل بعد قيام اسرائيل بفترة قصيرة •

وهذا الوضع ، هو وضع فريد في بابه ، سبّب تأزم احوال العمل بين العمال العرب ، وحال دون تقدمهم ، وعرّضهم لهجوم مركّز قام به اصحاب رؤوس الاموال الاقطاعيون من العرب ، واشتركت الحركة الصهيونية ، بما

في ذلك الاحزاب العمالية فيها ، بهذا الهجوم : تحت شعار عنصري بشع اسمته (العمل العبري) ، وتحت تأثير هذا الشعار طرد مبعوثو الصهيونية مئات العمال العرب من اماكن عملهم ، وفرضوا على من يمنحهم العمل من اليهود عقوبات خاصة ، مستهدفين منع العرب من العمل لديهم •

وفي السنين الاولى لقيام ذولة اسرائيل لم يتغير هذا الوضع بصدد العمال العرب ، فلم تتعهد اية منظمة بالدفاع عن حقوقهم ، وحاربتهم النقابة العـامة للعمـال اليهود (الهستدروت) في ارض اسرائيل تحت شعار (العمل المنظم) اذ ان شعار (العمل العبري) كان قد زال من الوجود • وفي وضع كهذا اضطر العمال العرب الى بيع طاقتهم العملية في السوق السوداء ، وكانوا دوما معرضين لخطر الطرد من اماكن عملهم ، وقبول أجر عمل ينخفض كثيرا عن اجر العامل اليهودي ، للعمل نفسه •

وحقيقة (العمل المنظم) كانت ، عمليا ، شعوذة بالنسبة للعمال العرب • فبينما كانت نقابة الهستدروت العامة للعمال اليهود ، او اية منظمة عمالية اخرى ، ترفض منحهم العمل في صفوفها ، كانوا يطردون من اماكن عملهم المخفي بحجة انهم غير منظمين • وقد انقلبت عمليات طرد العمال العرب من اماكن عملهم ، في فترات معينة ، وخصوصا عندما ارتفعت نسبة

البطالة ، بين العمال اليهود الى احداث يومية • واشرف على طردهم خلال فترات مستمرة مراقبو العمل ، واحيانا اللجان العمالية ، بمساعدة الشرطة • وفي السنوات الثلاث او الاربع الاخيرة لم نسمع ، الا في حالات نادرة جدا ، عن عمليات طرد العمال العرب من اماكن عملهم •

وقد تعرض العمال العرب لاضطهاد متعمد فيما يتعلق بأجورهم • واسهمت الحكومة مع ارباب العمل في هـذا الاضطهاد • وما كانت الجماهير العمالية العربية منظمـة آنذاك ، وما كان بامكانها ان تتخذ اي زمام مبادرة للدفاع عن حقوقها • ومن اجل ذلك كله ازداد هذا الاضطهاد وسرى وتعمق ، فوصل ، في حوادث معينة ، فيما يتعلق بالاجور الى اكثر من ٥٠ ٪ • فمثلا كان العامل العربي «البسيط» ، في سنة ١٩٥٢ ، يتلقى مقابل عمل يوم واحد لدى دائرة الاشغال العمومية ، ليرة اسرائيلية واحدة ، في حين كان العامل اليهودي يأخذ مقابل العمل نفسه ، وفي الدرجة نفسها ، ٢ر٦٣ من الليرات الاسرائيلية لليوم الواحد • وبينما كان العامل العربي المهني (كالبنّاء مثلا) يأخذ ٢ر٥٠ من الليرات الاسرائيلية في اليوم ، كان العـامل اليهودي يأخذ ٣ر١٤ من اللـيرات الاسرائيلية في اليوم • وقد طبّقت الحكومة هذا التمييز بشأن العمال العرب • وجوابا على سؤال أثير في الكنيست بتاريخ ١٩٥٢/١/٢٨ ، اعترف وزير التربية والتعليم بأن

المعلم اليهودي الاعزب الذي يحمل الشهادة الثانوية العامة ، وشهادة دار المعلمين ، يتلقى ٦٩ ليرة اسرائيلية في الشهر ، في حين ان المعلم العربي الذي يتحلى بالكفاءات نفسها مع الخبرة ، يتقاضى ٤١ ليرة اسرائيلية في الشهر . وكذلك يتقاضى المعلم اليهودي الاعزب الذي يحمل شهادة الصف الثامن الثانوي ٥٩ ليرة اسرائيلية في الشهر ، في حين ان زميله العربي يتقاضى ٣٦٫٥٠ من الليرات الاسرائيلية في الشهر . هذا مع العلم بأن المعلمين العرب يشكلون نسبة كبيرة من مجموع العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل .

وقد وصف الكاتب اليهودي اهارون كوهن في كتابه (اسرائيل والعالم العربي) (١٩٦٤) ، صفحة ٥٣٠ حالة العامل والموظف العربيين قال : « ان العامل العربي الذي تمكن من الحصول على عمل في السنوات العشر الاولى من قيام اسرائيل ، انحصر عمله في الاشغال الصعبة التي لا يقوم بها العامل اليهودي ، كالعمل في المجاري ، والبناء . واجور العمال العرب هنا منخفضة ، ولا ترقى الى اجور العمال اليهود مطلقا حتى ولو كان العامل العربي يقوم بالعمل نفسه الذي يقوم به العامل اليهودي . وعمليا بقيت ابواب عمل كثيرة مغلقة في وجه العامل والموظف العربيين. والعامل العربي الذي تمكن من العمل المؤقت في حقل زراعي يهودي في مستعمرة بعيدة ، كان يطرد من عمله بحجة انه (عامل غير

منظم) • وكلما زادت البطالة بين العمال العرب ، ازدادت المحاولة لزيادة تفاقمها وذلك بالبحث عن العمال العرب الذين يعملون لدى اليهود ، وطردهم من عملهم ، بمساعدة الشرطة• وكان اضطرار العامل العربي الى العمل بالخفاء ، والى القيام بالاعمال المتناهية بالشدة والرداءة ، سببا آخر لاضطهاده وفرض شروط العمل القاسية عليه » •

وبدأت حالة الفوضى هذه تتحسن رويدا رويدا . بازدياد عدد العمال العرب• وعندها شعرت نقابة الهستدروت العامة للعمال اليهود ووزارة العمل بوجوب حل قضايا العمال العرب المريرة• فسمحت الهستدروت للعمال العرب بالانضمام لبعض المنظمات مثل صندوق الخدمات الطبية ، وعضويتهم هنا لم تكن على قدم المساواة مع الاعضاء اليهود • وكذلك اقامت وزارة العمل تسعة لجان عمالية للعمال العرب في مدينة الناصرة ، وعكا ، وام الفحم ، والطيبة ، وباقه الغربية ، ويافا ، واللد ، والرملة ، وحيفا • وكانت هذه اللجان تحت اشراف ومراقبة وزارة العمل بصفة مباشرة• لكن هذا الاجراء لم يتمخض عن اي تحسين اساسي في حالة العمال العرب.، لان الفريق الاكبر من العمال العرب ، الذين ما كانوا يستطيعون الانضمام الى هذه اللجان ، بقوا بدون تنظيم ، فتعرضوا لخطر الطرد من اعمالهم ، ولتجريدهم من الحقوق المرتبطة بالعمل • اما هذه اللجان نفسها فقد قدمت النزر

اليسير من العمل لهؤلاء العمال ، والاكثرية العظمى من العمال العرب اضطرت الى البحث عن عمل معتمدة على نشاطها الشخصي • ويعتبر تاريخ ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩ نقطة تحول في تاريخ العمال العرب في اسرائيل عندما اتخذت نقابة الهستدروت العامة للعمال اليهود قرارا يقضي بقبول العمال العرب في عضويتها على قدم المساواة في الحقوق والالتزامات مع العمال اليهود ، واصبح هذا القرار نافذ المفعول في مطلع سنة ١٩٦٠ ؛ وشرعت الهستدروت تقبل العمال العرب في عضويتها ، بحيث ان العمال العرب الأعضاء في الهستدروت بلغوا ٢٦٦٩٠ عضوا ، في نهاية سنة ١٩٦٢ •

ورغم ذلك كله فان احوال العمال العرب لم تتحسن كثيرا بالنسبة لما كانت عليه في الماضي • والقسم الاكبر من العمال العرب ، وخصوصا الذين يعملون في قرى المثلث والجليل ، لا ينتسبون رسميا الى اية نقابة عمالية فيضطرون الى البحث عن عمل بدافع نشاطهم الشخصي ، ويتعرضون لاخطار الطرد والبطالة المسلطة على رقابهم • فمن اجل ذلك كانت البطالة في صفوف العمال العرب اكثر منها دوما في صفوف اليهود •

ويجابه العمال العرب في اسرائيل حالة فقدان العمل في اماكن اقامتهم ، بحيث ان نصفهم يضطر للسفر يوميا الى اماكن عمل بعيدة للحصول على عمل ، الامر الذي يعرضهم

العمال العرب واليهود حسب نوع العمل

	الزراعة والتحريج وصيد الاسماك	الصناعة والمهن والتعدين وقطع الحجارة	البناء والاشغال العامة	الكهرباء والماء والخدمات الصحية	التجارة والبنوك	المواصلات والنقل والتخزين والارتباط	الخدمات الشخصية والحكومية والشعبية والادارية	الخدمات الصحية والتربوية والاجتماعية والدينية والقضائية
١٩٥٤ (اكتوبر)								
يهود	٧١٣٠٠	١١٢٣٠٠	٤٧٤٠٠	٩٥٠٠	٦١٦٠٠	٣٢١٠٠	٩٩٨٠٠	٥٠٢٠٠
النسبة المئوية	١٤ر٧	٢٣ر١	٩ر٨	٢ر٠	١٢ر٦	٦ر٦	٢٠ر٥	١٠ر٣
عرب	٢٢٧٠٠	٣٢٠٠	٣٣٠٠	٣٠٠	٢٥٠٠	١٠٠٠	٣٨٠٠	١٦٠٠
النسبة المئوية	٥٩ر٩	٨ر٢	٨ر٤	٠ر٨	٦ر٤	٢ر٦	٩ر٦	٤ر١

١٩٥٨ (المعدل)

يهود	٩٥٨٠٠	١٣٥١٠٠	٥٦٤٠٠	١٣٠٠٠	٧٧٧٠٠	٤٣٤٠٠	١٦٠٠٠	٨٢٠٠٠
النسبة المئوية	١٥ر٧	٢٢ر١	٩ر٢	٢ر١	١٢ر٨	٧ر٠	١٦ر٦	١٤ر٥
عرب	١٩٣٠٠	٦٧٠٠	٧٩٠٠	١٠٠	٣١٠٠	١٩٠٠	٢٦٠٠	٢٧٠٠
النسبة المئوية	٤١ر٩	١٤ر٥	١٧ر١	٠ر٢	٦ر٧	٤ر١	٥ر٦	٥ر٩

١٩٦٢ (المعدل)

يهو	٨٩٥٠٠	١٨٦٦٠٠	٦٤١٠٠	١٥٥٠٠	٩٤٢٠٠	٤٥٦٠٠	١١٤٦٠٠	١٠٧١٠٠
النسبة المئوية	١٢ر٤	٢٦ر٠	٩ر٠	٢ر٢	١٣ر١	٦ر٤	١٥ر٩	١٥ر٠
	٣٦٤٠٠	٨٣٠٠	١١١٠٠	٤٠٠	٤٤٠٠	٢٢٠٠	٣٣٠٠	٢٤٠٠
النسبة المئوية	٥٣ر١	١٢ر٢	١٦ر٢	٠ر٦	٦ر٤	٢ر٤	٤ر٨	٣ر٥

للخسارة في الزمن ، والمال ، والاطمئنان . والكثيرون منهم يبيتون في اماكن عملهم البعيدة ، تحت اسوأ الظروف ، ويعودون الى منازلهم مرة في الاسبوع ، او في الشهر ، ونطلق على هؤلاء العمال اسم (العمال المتجولين) : وهم يؤلفون نصف العمال العرب كلهم في اسرائيل ، فعددهم ٥٤ ألف عامل ، منهم ٢٧ ألف عامل متجول . ومن هؤلاء ٢٣٥٠٠ عامل متجول من الذكور . و ٦٩ ٪ من هؤلاء العمال المتجولين يعيشون في القرى ، و ١٣ ٪ منهم ينتسبون الى مدينتي الناصرة وشفا عمرو العربيتين و ١٠ ٪ منهم ابناء قبائل بدوية، والباقي وهم ٨ ٪ يعيشون في المدن والضواحي . ويعمل ٣٤ ٪ من العمال المتجولين في الزراعة والتحريج وصيد الاسماك ، ويعمل ٢٤ ٪ منهم في البناء و ٢٢ ٪ منهم في المصانع والتعدين والمحاجر ، و ٢٠ ٪ في الخدمات العامة .

ولا تطمئن النفس الى احوال العمال العرب بالنسبة لمساواتهم بالعمال اليهود في نوعية العمل ، بحيث ان العمال العرب يعملون في الاعمال الشاقة التي تعود عليهم بدخل اقل، كما يتضح ذلك من الجدول السابق .

وعدد العمال العرب آخذ بالزيادة التدريجية ، واحوال عملهم آخذة بالتحسن تدريجيا بالنسبة لما كانت عليه في الماضي ، والكثيرون منهم ينضمون باستمرار الى مؤسسات

المساعدات الاجتماعية، والتأمين، والخدمات الاخرى ، لكنهم لما يرتقوا الى مستوى التطور الذي حققته الجماعات العمالية اليهودية ، اذ ان امكانات التقدم لدى العمال العرب ، ومدى المساعدة المهنية والثقافية والاجتماعية التي تمتد اليهم ، لا يمكن مقارنتها بتلك المساعدات ، في المجالات نفسها ، التي حصلت عليها جمهرة العمال اليهود . وكذلك ترتفع النسبة المئوية للبطالة بين العمال العرب عن مثيلها لدى اليهود . اضف الى ذلك ان اضطرار العمال العرب الى الحصول على تصاريح تنقل وعمل صادرة عن الحكام العسكريين ما فتئت تشكل قضية عملية ينبغي النظر اليها بعين الاعتبار، وخصوصا فيما يتعلق بالعمل في بعض المناطق المتطورة في اسرائيل .

وما اكثر الاسباب التي تحدث ارتفاعا في عدد العمال العرب : وتحسينا لأحوالهم ؛ ومنها فقدان الاراضي العربية الزراعية بعد عمليات مصادرتها وتملكها بطرق شتى ، وازدياد عدد السكان العرب في اسرائيل وضآلة دخلهم من الزراعة العربية ، ونزوح الشباب العربي ، وهو ، في اكثريته ذو ثقافة متوسطة او ابتدائية ؛ من القرية الى المدينة ؛ حيث ينقلب تلقائيا الى قسم الطبقة العمالية .

ومن وراء هذا التطور تقف خطة اساسية وشاملة رسمتها حكومة اسرائيل، وشرعت في تنفيذها منذ سنة ١٩٥٨ ؛

وهي خطة تستهدف قطع الصلة القائمة بين المجتمع العربي الاسرائيلي ، وهو ، في اساسه مجتمع زراعي ، وبين المحراث الآلي ، في سبيل تسهيل عمليات الاستيلاء على الاراضي العربية . ولتنفيذ وتحقيق هذه الخطة ، وضعت العثرات والعراقيل الكثيرة في وجه تطور الزراعة العربية والقرية العربية عامة ، وشجعت عمليات النزوح الى المدن تشجيعا جديا وشاملا لم يعتوره اي تقاعس وفشل .

(٥)

التطور والخدمات

والصورة القائمة التي حصلنا عليها عن حياة العرب في اسرائيل في مجال التربية والتعليم والزراعة والعمل ، تنطبق تماما على حياتهم الاخرى في سائر المجالات . ففي مجال البلديات ، تجلت (معارضة) وزارة الداخلية ، في السنوات الاولى لقيام اسرائيل ، اجراء انتخابات للبلديات او للمجالس المحلية العربية ، استنادا الى اسباب تتصل بأمن اسرائيل وسلامتها ، كما قيل . وعندما بطلت قيمة هذه الاراجيف ، شرعت وزارة الداخلية تعمل ببطء كبير ، ومن ورائها الحكام العسكريون يوجهونها وينيرون امامها الطريق .

وقد اقتصر نشاط وزارة الداخلية في هذا المجال على

تشكيل ١١ سلطة محلية من سنة ١٩٥٠ حتى سنة ١٩٥٣ . وتسعة مجالس محلية من سنة ١٩٥٣ حتى سنة ١٩٥٩ ، وعشرة مجالس محلية اخرى من سنة ١٩٥٩ حتى سنة ١٩٦٢، كما جاء في الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لسنة ١٩٦٣ صفحة ٢٩٠ ، ولسنة ١٩٦٤ صفحة ٣١٧ ، الامر الذي يدل على انه في سنة ١٩٦١ لم يكن ، في ما يقرب من ٥٧ ٪ من الاماكن المأهولة بالعرب في اسرائيل ، حيث يقيم ٣٨ ٪ من مجموع السكان العرب فيها ، لم يكن ثمة وجود لاي تمثيل بلدي ، مقابل ٢ر٥ ٪ من المستعمرات اليهودية التي يعيش فيها ٤٣ر٠ ٪ من مجموع السكان اليهود في اسرائيل ، كما يتضح ذلك من الجدولين المنشورين على الصفحتين ١٥٤ — ١٥٥ .

وزعمت لجنة الداخلية التابعة للكنيست ، في تقريرها عن البلديات والمجالس المحلية في القرى العربية المقدم الى الكنيست بتاريخ ٢٨/٣/٦٣ ، ان هذه المجالس لا توجد في ٧٠ قرية عربية تشكل ٦٠ ٪ من مجموع الاماكن الآهلة بالعرب في اسرائيل .

ومن الجلي الواضح ان وضعا كهذا من شأنه ان يضع الصعاب في طريق تقدم القرية العربية فيشل تطورها . وما اكثر المجالس المحلية العربية التي تعينها وزارة الداخلية بدافع المحسوبية العائلية ، ودون ان تقيم لرغبات السكان العرب

الاماكن الاهلة بالسكان مرتبة حسب تمثيلها البلدي

السنة	مجموع الاماكن الماهولة — يهود	عرب	اماكن لا وجود لتمثيل بلدي فيها — يهود	عرب	النسبة المئوية — يهود	عرب
١٩٥٣	٧٤٢	١١٢	٩٣	٨٩	١٢ر٥	٧١ر٤
١٩٥٥	٧٨٤	١١٠	٧١	٨٦	٩ر١	٧٨ر١
١٩٥٧	٨٠٢	١١١	٤٠	٨١	٥ر٠	٧٣ر٠
١٩٥٨	٧٩٥	١١٢	٣٢	٧٥	٤ر٠	٦٧ر٠
١٩٥٩	٧٩١	١١٢	٢٧	٧٤	٣ر٤	٦٦ر١
١٩٦٠	٧٨٠	١١٢	٢٣	٦٧	٢ر٩	٥٩ر٨
١٩٦١	٧٧٢	١١٠	٢٠	٦٣	٢ر٥	٥٧ر٣

السكان حسب التمثيل البلدي (١)

١٩٥١	١٤٠٤٣٩٢	١٧٣٤٣٣	١٢٧٠٢٢	١٠٣٨٨٤	٨ر٨	٥٩ر٨
١٩٥٢	١٤٨٣٦٤١	١٨٥٧٧٦	٨٣٢٤٥	١٠٤٦٣٠	٥ر٦	٥٦ر٣
١٩٥٥	١٥٩٠٥١٩	١٩٨٥٥٦	٤٥٠٥٤	١٠٥٣٧٨	٢ر٨	٥٣ر١
١٩٥٧	١٧٦٢٧٤١	٢١٤٢١٣	١٩٩٤٤	١١٤٩٥٣	١ر٢	٥٣ر٨
١٩٥٨	١٨١٠١٤٨	٢٢١٥٢٤	١٧٥٢١	١٠٢٤٨١	٠ر٩٦	٤٦ر٤
١٩٥٩	١٨٥٨٨٤١	٢٢٩٨٤٤	١٥٧٩٠	١٠٨٩٤١	٠ر٨٥	٤٧ر٤
١٩٦٠	١٩١١١٨٩	٢٣٩١٦٩	١٤٢٦٤	٩٠٩٠٩	٠ر٧٤	٣٨ر٠
١٩٦١	١٩٨٦١٠٥	٢٤٨٠٩٨	٨٧١٠	٩٤٢٦٢	٠ر٤٣	٣٧ر٩

(١) الكتاب السنوي الاحصائي لاسرائيل (١٩٦٣) ص ٥٩٠ ــ ٥٩١ .

وزنا . وما اكثر ما تتوقف هذه المجالس عن العمل بعد تعيينها بزمن قصير ، نتيجة للخلافات الناشبة بين اعضائها . وللدس الذي يمارسه نظام الحكم العسكري ووزارتا الدفاع والداخلية ، وبسببه يتحول كل عضو في مجلس محلي عربي خادما لمصالح جماعته . وبهذا تسود الفوضى ، فيتبجح موظفو وزارة الداخلية بالقول ، ان العرب تنقصهم ميزة التنظيم .

ويشكل فقدان السلطات المحلية في الكثير من القرى العربية عثرة في طريق عمليات البناء والاعمار في تلك القرى ، حيث لا يمكن تعيين حدود او مساحة المنطقة المعدة للبناء . وكذلك يتلقى القرويون في هذه القرى اجوبة على طلباتهم الاذن للبناء ، بعد مرور سنة واحدة من تاريخ تقديمها . وتعالج الدوائر الادارية هذه الطلبات ، وتبدأ باصدار رخص البناء المطلوبة بعد انقضاء سنة ونصف او سنتين . ونتيجة لهذا الوضع ، انشىء في القرى العربية قرابة ٤٠٠٠ منزل بدون ترخيص ، وتهدد السلطات الان بهدم هذه المنازل ، بعد ان حصلت على اكثر من ألفي قرار بالهدم .

ومن هذا كله تتضح لنا صورة جلية عن المستوى المنخفض الذي تحياه القرية العربية .

وفيما يتعلق بالكهرباء ، فانها لم تصل الا الى النزر

القليل من القرى العربية في اسرائيل • لقد كانت بلدة الطيبة العربية في المثلث اول قرية في اسرائيل تصل اليها الخدمات الكهربائية في سنة ١٩٥٥ • ومنذ ذلك الحين حتى تاريخ ٥/٤/١٩٦١ امتدت الخطوط الكهربائية الى خمس قرى عربية اخرى • وخلال السنوات الثلاث الاخيرة ، امتدت الخدمات الكهربائية الى بضع قرى عربية اخرى •

وبالنسبة للخدمات البريدية ، ففي القرى العربية مكتب بريدي واحد ، وفرع مكتب بريدي اخر ، وخمس عشرة شعبة بريدية • وترتبط ثلاثون قرية عربية بخط بريدي متحرك • وثمة ٥٩ قرية عربية ، بما فيها مضارب البدو ، لا تتمتع بالخدمات البريدية فلا توجد فيها مكاتب بريدية ، ولا وكالات بريدية ، ولا ترتبط بخطوط بريدية متحركة •

والخدمات الهاتفية قائمة في ٢٦ قرية عربية ، تشكل ربع مجموع القرى العربية في اسرائيل •

وفيما يتعلق بالخدمات الصحية ، فان احوال القرى العربية تحسنت نوعا ما ، عما كانت عليه في السابق ، في المجال الصحي • فقد اقيمت مراكز صحية ومستوصفات في شتى المناطق العربية في اسرائيل ، بما في ذلك مضارب البدو ، وهبطت نسبة الوفيات ، وخصوصا بين الاطفال العرب • ومهما يكن من امر ، فان مستوى الخدمات الطبية المقدمة

الى العرب في اسرائيل لا يرتفع الى مستواه عند اليهود • ونضرب مثلا على ذلك فنقول ان المستوصفات تنعدم في الكثير من القرى العربية ، وخاصة في منطقة الخضيره وعكا • وكذلك لا يوجد طبيب او ممرضة او صيدلي ، في المناطق القريبة من بعض هذه القرى • ولم تقدم اسرائيل خدمات طبية للامهات والاطفال العرب في ٤٦ قرية عربية ، رغم وجود مدرسة في ٤٠ قرية منها • ولم يطعّم الاهالي العرب في ٥ قرى عربية تقع في منطقة عكا • ولم يزر الطبيب او الممرضة مدارس ١٧ قرية عربية في منطقة عكا في سنة ١٩٦٣/٦٤ ، رغم ان الخدمات الطبية تمتد الى هذه القرى •

ورغم ان حكومة اسرائيل عهدت الى وزارة الصحة بتقديم الخدمات الطبية الى ٨٧ قرية من قرى الاقلية العربية في اسرائيل ، الا ان وزارة الصحة هذه عجزت عن القيام بأعباء هذه المهمة •

مما تقدم اصبحنا نفهم الوضع الصحيح للقرية العربية في اسرائيل ، واصبحنا ندرك اسباب الوفيات بين الاطفال العرب ، بحيث انه في بدء عام ١٩٦٤ توفي في قرية كسرى العربية في الجليل ١٥ طفلا بالحصبة •

وبالنسبة للمجالات الحيوية الاخرى فقد تم مد الطرق وانابيب المياه الى بعض القرى العربية مقابل مبالغ طائلة من

المال دفعها السكان العرب لهذه الغاية •

واذا قارنا طبيعة وماهية ومجال عمليات التطوير الكثيرة التي تمت في المجال العربي ، او الخدمات الكثيرة التي تمت في المجال اليهودي ، ادركنا سعة الفرق بين المجالين ، حيث لا يرتفع المستوى العربي الى المستوى اليهودي ، فيما عدا السجون حيث يزيد عدد المساجين العرب ، وخصوصا الذين حوكموا منهم لمخالفاتهم قوانين الدفاع وقوانين الطوارىء ، على عدد المساجين اليهود •

ومنذ قامت اسرائيل ، حتى يومنا هذا ، قيل كثيرا عن التقدم الذي احرزه الشعب العربي المقيم في اسرائيل ، وعن عمليات التطوير الشتى التي نفّذت في سبيل العرب ، تلك العمليات التي لا نظير لها في جميع بلدان الشرق الاوسط ، وعن اساليب الحكم الديمقراطية المطبّقة على العرب المقيمين في اسرائيل • وصدرت تصريحات لا تستند الى اساس عن جميع هذه الادعاءات • لكننا لا نود ان نقوم نحن من جانبنا باصدار تصريحات معاكسة لها، وعلى مستوى تلك التصريحات المجردة عن المنطق والذوق نفسه • ومن العجب العجاب ان تكون تلك التصريحات قد صدرت عن ناطقين رسميين لدولة اسرائيل ، وكان هدفهم منها ، على اغلب الظن ، التدليس على العرب ، واليهود ، والرأي العام العالمي •

ويجدر بنا ان نشير بهذه المناسبة ، الى ان هـذا (التقدم) و (عمليات التطوير) تلك ، والتي ملأت اسرائيل شدقيها فخـرا بتنفيذها وتحقيقها لم تصل ، عمليا ، الى الحد الادنى من الخدمات التي تلزم اية دولة بتقديمها الى رعاياها ، ولو عن طريق الحفاظ على حد معين من الكرامة في عيون الاخرين ، او كقسم من الخدمات التي تقدمها الدولة لرعيتها مقابل الالتزامات التي تطالب الدولة رعاياها بها . ولا يمكن مقارنة هذه الخدمات مطلقا بما اخذ من عرب اسرائيل ، او سلب منهم . وانا وان كنا لا ننكر ان مستوى المعيشة لدى قسم كبير من عرب اسرائيل قد تحسن وخصوصا عقب الحاجة الى الايدي العاملة في شتى الميادين في الدولة ، الا انه يجدر بنا ان نذكر ان اقل تدهور في هذه المجالات سيكون موجها الى عرب اسرائيل وحدهم ، يلحق بهم ضررا بليغا .

اضف الى ذلك ان هذا التقدم ، وهذه الخدمات ، وتلك المشاريع الصغرى ، لم تقدم الى السكان العرب المقيمين في اسرائيل الا كذيل لمشاريع التطور الكثيرة التي أعدت بصورة رئيسية للمستعمرات اليهودية . وعمليا لسنا نعرف شيئا عن اي مشروع تطوير جدي اعد بصورة رئيسية لعرب اسرائيل .

خـاتـمـة

من الفصول السابقة يتضح ان السياسة التي تنهجها اسرائيل نحو العرب المقيمين في البلاد ما كانت ، من جهة عملية ، الا جانبا من جوانب السياسة الصهيونية المرسومة للعروبة جمعاء ٠ وما نبتت سياسات الاحكام العسكرية ، ومصادرة الاراضي ، والتمييز العنصري ، والاضطهاد ، الا على اساس سياسة صهيونية انبثقت عن موقف الصهيونية من العرب أجمع ٠

وكلا مظهري هذه السياسة ، الخارجي المرتبط بعلاقات اسرائيل بالدول العربية ، والداخلي منها المتعلق بسياسة اسرائيل المرسومة نحو العرب المقيمين فيها ، يعكسان فشل السياسة الاسرائيلية والصهيونية فشلا حقيقيا ذريعا ٠ وبينما يعزى فشل السياسة الخارجية المرسومة للدول العربية الى اسباب خارجية او غير مرتبطة بنفوذ اسرائيل او سيطرتها ، اذ بنا نرى فشل سياستها الداخلية المرسومة للعرب المقيمين فيها ناشئا ، بصورة رئيسية ، عن معالجتها الخاطئة للامور ،

وموقفها السلبي ، وعملياتها المضرة التي كانت لقاح عقول حكامها ونتاج افكارهم . والكثيرون من الافراد في اسرائيل مسؤولون كثيرا عن هذا الوضع المتردي ، وقد كانوا خلال فترات مستمرة وراء النشاط الصهيوني ، فعاشوا حياة الدولة اليهودية قبل ميلادها ، وترأسوها بعد قيامها ، ومن هؤلاء دافيد بن جوريون بنفسه ، وهو احد الزعماء الذين رسموا الجهاز العصبي لدولة اسرائيل ، ففاز بأحد المفاهيم التي طالما احبها في الماضي ، ويحبها اليوم الكثيرون من الزعماء الاسرائيليين ، وما هذا التصميم الا كراهيته للعرب ، وبغضه كل شيء عربي . وبالنسبة لبن جوريون فان هذا المفهوم استولى على مشاعره اكثر من سائر المفاهيم الاخرى لاي زعيم عاقل ، بحيث انه تمخض عن مواقف غريبة وعجيبة . وقد نشرت صحيفة (هآرتس) في عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٤/٣٠ ، نبأ يوضح موقف بن جوريون الحقيقي من العرب فقالت : « لقد رفض بن جوريون شهادة الهوية الصادرة باسمه لانها كتبت بالعربية مع العبرية » . وتعليقا على هذا النبأ كتب اورى افنيرى ، في مجلة (هاعولام هازيه)، في عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٥/٧ فقال : « لقد كان بن جوريون رجعيا الى النهاية في معارضته التامة لكل ما هو عربي . فرئيس حكومة اسرائيل ما زار مدينة او قرية عربية ، منذ قيام اسرائيل (لقد زار في تموز ١٩٥٩ قرية جولس الدرزية في طائرة هليكوبتر) . وعندما زار مدينة الناصرة

العليا اليهودية ، رفض ان يزور مدينة الناصرة العربية وهي لا تبعد الا بضع مئات من الامتار عن الناصرة اليهودية . وخلال السنوات العشر الاولى من قيام اسرائيل ، لم يستقبل بن جوريون وفدا واحدا من المواطنين العرب . وتحت ضغط حزبه تكرم باستقبال اعضاء الكنيست العرب الذين يسيرون في فلك حزب الماباي وكان هذا هو حادث اللقاء الوحيد مع العرب ، وفيه وعدهم وعودا عرقوبية . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٨ التقى بهؤلاء الاعضاء ثانية ، بمناسبة الانتخابات . وبن جوريون الذي تعلم اليونانية ليقرأ افلاطون ، والاسبانية ليقرأ سرفانتس ، ما رأى من واجبه ان يتعلم العربية ليقرأ الذخائر العربية المجيدة في المدنية العربية . ورغم انه سلخ ٥٣ سنة من هجرته الى اسرائيل الا انه لا يفقه شيئا من الاذاعة او الصحافة العربية » .

وعندما زار النقب ، اصر على استبدال اليافطة التي تحمل اسم (عين غضبان) العربي حالا ، وصرح بأن هذا الاسم العربي هجين عنده . وعندما سئل في مستعمرة (بير اورا) في النقب عن الاسم العربي السابق لمكان هذه المستعمرة ، اجاب بغضب (لست ادري) وما وددت ان ادري .

وما كان رفضه بطاقة الهوية الا حلقة اخرى من سلسلة

كراهيته للعرب . اذ اننا ما عرفنا قط ان دافيد بن جوريون رفض الحصول على جواز سفر اسرائيلي حيث تظهر الفرنسية الى جانب العبرية . والحق يقال ان الفرنسية لغة اجنبية ، في حين ان العربية ما فتئت لغة رسمية في اسرائيل ، لكن بن جوريون يأباها .

ولا يجوز ان يقال ان بن جوريون ينفرد في تحمل المسؤولية عن السياسة المعادية للعرب في اسرائيل ، بل ان الى جانبه مستشارين ، ومساعدين ، ومديرين ، يتحلون بأفكار اكثر تطرفا . وما برحوا يتمسكون بهذه الافكار حتى يومنا هذا، وبعد يومنا هذا، وهم بعد اعتزال بن جوريون الحكم ، لا يزالون يديرون دفة هذه السياسة الاسرائيلية ، فهو الذي اوقد النور الاخضر ولم يظهر من سيطفئه .

وتحت ستار الحفاظ على أمن اسرائيل وسلامتها من الداخل ، نهجت حكومتها نحو العرب المقيمين فيها سياسة احكام عسكرية دكتاتورية ، وهي احكام اضطهدت العرب ودمرت وسائل التقارب بينهم وبين اليهود ، وزاد من الشعور باحتقار حكومة اسرائيل وكراهيتها .

ولسنا نود ان نعود هنا الى الحديث عن موقف العرب من الاحكام العسكرية ، ولا عن الحديث عن جميع ما قيل

في استنكار هذه الاحكام ، بل نشير الى القول بأن هذه الاحكام لم تزد شيئا الى سلامة اسرائيل وامنها ، ولم تخدم مصالحها الحقيقية، ودساتير الدول الديمقراطية تلزم الغاءها .

وفي سبيل استيعاب واسكان المهاجرين اليهود صودرت مئات الالوف من دونمات الاراضي العربية الزراعية الطيبة في اسرائيل ، وتعامت حكومتها تعاميا تاما عن النتائج الوخيمة التي ستتمخض عن رد الفعل العربي ضد اسرائيل في المستقبل .

فاذا كانت الغايات التي وضعتها حكومة اسرائيل نصب عينها ، فيما يتعلق بالاحكام العسكرية ومصادرة الاراضي العربية ، واضحة ، فان الاسباب لاضطهاد العرب ، وموقف حكومة اسرائيل السلبي من التعليم العربي ، ومن المثقفين والعمال العرب ، ومن تطوير القرية العربية وسائر المجالات الاخرى في الحياة العربية في اسرائيل ، تبدو غريبة جدا لنا . انا نرى جذور هذا الموقف كامنة في كراهية العرب وعدم تفهم اوضاع العرب فيها خاصة وما يجري في العالم العربي عامة . والواجب يدعو الى قيام سياسة اسرائيلية تستهدف تحقيق اهداف واضحة ومتبلورة ، وبانعدام هذه الاهداف او الغايات ، لا نستطيع ان نبحث اسباب بعض المواقف السياسية لاسرائيل الا ضمن اطار العوامل النفسية الحساسة. فاذا استهدف حكام اسرائيل الحفاظ على أمنها وسلامتها ،

فهل تراهم كانوا في حاجة الى فرض الاحكام العسكرية على العرب لتحقيق هذه الغاية ؟ أليس قلم المخابرات التابع لوزارة الدفاع (الشيف بت) كافيا وحده ان يقوم بهذا العمل ؟ ودول كثيرة في الخارج تواجه قضايا تتعلق بأمنها وسلامتها ، وهي قضايا اشد خطورة من المشاكل التي تواجهها اسرائيل ، بيد ان هذه الدول ما رأت لزاما عليها ان تطبق الاحكام العسكرية القائمة على مبدأ التمييز القومي والعنصري •

واذا استهدف هؤلاء الحكام استيعاب المهاجرين الى اسرائيل واسكانهم فوق الاراضي العربية المصادرة ، اما كان عليهم ان يتحسبوا لرد الفعل العربي ؟ ومساحة الاراضي العربية المصادرة تشكل في النهاية ، زهاء ٥ ٪ من المساحة العامة لاسرائيل ، الا ان عمليات السلب هذه اقامت الدليل على نوايا اسرائيل المبيتة للتوسع وتصفية الكيان العربي فيها • وكدليل آخر على سياسة التمييزالعنصري التي وضعت للنيل من (الوجود العربي) في دولة اسرائيل ، سنّت اسرائيل قانون الرعوية لسنة ١٩٥٢ • وبالنسبة لمنح هذه الرعوية لليهود ، حوى هذا القانون احكاما تخالف الاحكام المطبقة على المواطنين العرب • فبينما تمنح هذه الاحكام الرعوية الاسرائيلية لليهود بطريقة تلقائية مستمدة من قوة قانون العودة لسنة ١٩٥٠ ، اذ بها تصطبغ بنص آخر بالنسبةللعرب• فالعربي يعتبر مواطنا في اسرائيل اذا : ١) كان بتاريخ

١/٣/١٩٥٢ مسجلا كمقيم في اسرائيل بموجب قانون تسجيل السكان لسنة ١٩٤٩ ، و ٢) كان بتاريخ ١/٤/١٩٥٢ مقيما في اسرائيل ، و ٣) كان ، منذ قيــام اسرائيل حتى تاريخ ١/٤/١٩٥٢ ، في اسرائيل ، او في القسم التابع لها بعد قيام الدولة ، او دخل الى اسرائيل في هذه الفترة بطريق مشروع . وهذه المادة الاخيرة تشبه الاحكام المذكورة في قانون املاك الغائبين ، وبموجبها اعلن الالوف من المواطنين المقيمين حتى يومنا هذا في اسرائيل : كغائبين ، واستنادا الى هذه الاحكام رفضت وزارة الداخلية الاعتراف برعويةالعرب الذين وجدوا عشية قيام اسرائيل في مناطق كانت آنذاك خارج تخومها ، وقد احتلتها قواتها فيما بعد ، او ضمت اليها ، فقد صدف ان هؤلاء العرب خرجوا من تخوم مناطقهم الى اي بلد عربي، لاية غاية وفي اية فترة او بين اعلان قيام اسرائيل وبين احتلال هذه المناطق او ضمها الى اسرائيل فيما بعد . واستمر العمل بهذه الاحكام سارى المفعول لفترة طويلة ، الى ان هاجمه احد سكان قرية عانه العربية في سنة ١٩٦١ امام محكمةالعدل العليا التي قضت بأن هــذه الاحكام ليست الا اضطهادا وتمييزا عنصريــا لا يستند الى اساس وينقصه المنطــق ويفتقد الى الرحمة . وكانت هذه القضية الاولى والوحيدة من نوعها ، التي انتصر العرب فيها على قانون اعد لاضطهادهم (انظر القضية رقم ٣٢٨٠/٦٠ التي اقامها امام محكمة العدل

العليا العربي جمال موسى ضد وزير الداخلية والقرار رقم ١٦ ، صفحة ٦٩ الى صفحة ٧٥) •

وتجدر الاشارة الى المناقشة التي اثيرت في الكنيست بصدد قانون الرعوية ، وفيها اشار مردخاي شبيرا ، وزير الداخلية آنذاك ، الى الحقوق المهمة التي منحت للعرب « عندما منحت دولة اسرائيل الرعوية الاسرائيلية التلقائية لـ ٦٣ ألفا من الغرباء » الذين سجلوا بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ (كلمات الكنيست المجلد ٦ ، صفحة ٢١٣٤ ، تاريخ ١٠/١٠/١٩٥٠) مع العلم بأن هؤلاء (الغرباء) عرب ولدوا في البلاد وكانوا فيها هم وآباؤهم ، مئات السنين قبل قيام دولة اسرائيل •

وإذا استهدف هؤلاء الحكام ايجاد حالة من التقارب بين العرب واليهود في دولة اسرائيل، أفتراهم ظنوا ان موقفهم السلبي من التعليم العربي ، ومن المثقفين والعمال العرب ، ومن جميع القضايا العربية في الدولة ، سوف يحقق لهم هذه الاماني ؟ وما الذي حققته دولة اسرائيل نتيجة لهذه السياسة المبنية على الاهمال ، والاستهانة بالعرب وعدم الاكتراث بهم، واضطهادهم ، في جميع المجالات ؟•

ولا ينبغي ان يقال لنا انه لم تكن ثمة امكانية اخرى ، او ان دولة اسرائيل لم تستطع ان تتخلق بطريقة اخرى . فادعاءات كهذه لا تنطلي على العرب الذين ظلوا داخل اسرائيل . والحق يقال ان اكثرهم ليسوا من المحبين للحكومة الجديدة التي قامت بين عشية وضحاها ، بل انهم شهدوا تغييرا حوّلهم من اكثرية الى اقلية ، ولمسوا النتائج التي تأتت عن هذا التحوّل ، بل ان القسم الكثير منهم توقع ان يرى حياة هانئة في هذه الدولة ، رغم انه عرف الصعاب والعثرات القومية والسياسية والاجتماعية التي ستقف في سبيله ، والتي لا يستطيع ان يتغلب عليها بسهولة . وقد عمل ساسة اسرائيل من جانبهم كل شيء يستطيعونه لجعل العوامل النفسية السلبية القوة المرجحة ، وخصوصا بين الشباب العربي الذي نشأ وتعلم تحت ظل سيطرة الدولة اليهودية واشرافها .

وفي مناقشة للاحكام العسكرية في الكنيست سنة ١٩٦٣ صرّح بن جوريون بأن « الكثيرين من افراد الاقلية العربية المقيمة في اسرائيل لا يرون انفسهم اقلية فيها . بل انهم يرون اليهود كأقلية ، وافكار هؤلاء العرب ترتكز الى اساس ، اذ ان الاكثرية اليهودية هي بالفعل اقلية تحيط بها من وراء الحدود عشرات الملايين من ابناء الشعوب التي تنتمي اليها الاقلية

العربية في اسرائيل » •

فاذا كان الوضع هو كذلك ، فهل يحق « للاقليـة اليهودية » المحاطة من وراء الحدود بعشرات الملايين من العرب ان تتخلق بما تتخلق به الان نحو الامة العربية المقيمة في اسرائيـل ؟ وهل تخـال هذه الأكثرية اليهودية ان الأكثرية العربية العارمة ستقف مكتوفة الايدي من سياسة الاضطهاد والتمييز العنصري التي تطبق في اسرائيل ضد اخوانهم العرب ، وان العرب سيغفرون لاسرائيل قوانين الاحكام العسكرية ، او يقرون قوانين سلب الاراضي العربية ومصادرتها ؟

وبعد ، ان وجوه الاشياء تبدو لنا مختلفة اذا نحن تعمقنا فيها حيث يتجلى لنا ان العرب لا يتوقعون ، من وجهة عملية الفوز بربح خاص نتيجة لقيام دولة يهودية في الشرق الاوسط • فالعرب يشعرون في نهاية الشوط ، بأنهم هم الاكثر خسارة • في حين ان اليهود يستطيعون ان يتحدثوا ليل نهار عن (صدور التوراة عنهم) وعن (شعب الله المختار) وعن (ارض الآباء والاجداد) •

لكن العرب لا يأبهون لهذا القول ، بل انهم يقفون منه

موقفا مشابها له من وجهة قومية عربية مضادة للاتجاه الصهيوني • ففي عقيدة العروبة ان هذه البلاد ليست الا فلسطين ، البلاد المقدسة ، التي سيطر عليها العرب خلال ١٢٠٠ سنة متعاقبة، والمكوّنة لقسم من الوطن العربي الواصل بين طرفي العالم العربي ، وما طرد سكانها العرب منها الا قبل سبع عشرة سنة •

منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث
بيروت

صدر من سلسلة « دراسات فلسطينية »

١ ـ « الاستعمار الصهيوني في فلسطين » ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية والانكليزية والفرنسية) .

٢ ـ « الهدنة في القانون الدولي » ، للدكتور عابدين جبارة (بالانكليزية) .

٣ ـ « المطامع الصهيونية التوسعية » ، للسيد عبد الوهاب كيالي (بالعربية) .

٤ ـ « الكيبوتز : المزارع الجماعية في اسرائيل. » ، للسيد عبد الوهاب كيالي (بالعربية) .

٥ ـ « الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلي »، للسيد بسام ابو غزالة (بالعربية) .

٦ ـ « المقاطعة العربية لاسرائيل » ، للسيد مروان اسكندر (بالانكليزية) .

٧ ـ « الماباي : الحزب الحاكم في اسرائيل » ، للسيد ابراهيم العابد (بالعربية) .

٨ ـ « نظرة في احزاب اسرائيل » ، للدكتور اسعد رزوق (بالعربية) .

٩ ـ «الهستدروت»، للانسة ليلى سليم القاضي (بالعربية) .

١٠ ـ «العنف والسلام»، للسيد ابراهيم العابد (بالعربية).

١١ ـ « التسلل الاسرائيلي في آسيه » ، للسيد اسعد عبد الرحمن (بالعربية) .

١٢ ـ « ميزان القوى العسكرية » للدكتور انيس صايغ (بالعربية) .

١٣ ـ « الدبلوماسية الصهيونية » للدكتور فايز صايغ (بالعربية) .

١٤ ـ « العرب في اسرائيل ـ (١) » ، للسيد صبري جريس، (بالعربية) .

١٥ ـ « المنظمة الصهيونية العالمية » ، للسيد اسعد عبد الرحمن (بالعربية) .

١٦ ـ « عوامل تكوين اسرائيل » ، للآنسة انجلينا الحلو (بالعربية) .

١٧ ـ « اخطار التقدم العلمي في اسرائيل » ، للسيد يوسف مروّه (بالعربية) .

١٨ ـ « التخطيط في اسرائيل » ، للسيد بسام ابو غزالة (بالعربية) .

١٩ ـ «اسرائيل قبيل العدوان»، للسيد رفيق مطلق (بالعربية) .

« البترول العربي سلاح في المعركة »، للشيخ عبد الله الطريقي (بالعربية) .